سيرة ابي الفضل العباس (عليه السلام)

قراءة نقدية لكتاب العباس للمقرم الموسوي

الأستاذ الدكتور

جواد كاظم النصر الله

كلية الآداب –جامعة البصرة

d.rjawad1968@gmail.com

سيرة ابي الفضل العباس (عليه السلام) قراءة نقدية لكتاب العباس للمقرم الموسوي

لقد حظيت سيرة أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام بمزيد من الاهتمام من لدن الرواة والمؤرخين والباحثين لما تركته هذه السيرة العطرة من معطيات على الواقع الانساني بأبعاده كافة، ومن بين أولئك الذين أبدوا اهتماما بسيرة أبي الفضل العباس عليه السلام هو السيد عبد الرزاق الموسوي المعروف بالمقرم(*). إذ أبدى اهتماما واضحا بأحوال أهل البيت عليهم السلام وما جرى عليهم وما تركوه من آثار على أصعدة المجتمع كافة، وكان لأبي الفضل عليه السلام نصيبا وافرا، ففضلا عن تخصيصه كتاب مستقل عنه. فقد ذكر عنه معلومات موجزة في مظان كتب أخرى كما في مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وكتاب العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام وغيرها.

لذا خصصنا هذا البحث لدراسة كتاب العباس عليه السلام للسيد المقرم دراسة نقدية، وتتضمن نقد ما قدمه من مادة تاريخية، وما جاء به من آراء، ونقد المنهجية التي اتبعها في تأليف كتابه. والنسخة التي اعتمدناها هي النسخة المطبوعة في منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، دون ذكر تاريخ طبع الكتاب، كذلك لم يتضح متى ألف الكتاب؟ ويقع الكتاب في ٤٢٨ صفحة. وهذا الكتاب طبع عدّة مرّات وبأسماء متعدّدة هي: العبّاس عليه السلام، و(العبّاس بن علي عليهما السلام، و(العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام، و(حياة العبّاس بن علي عليه السلام، وقمر بني هاشم عليه السلام. ويظهر أن الأسماء الأربعة الأُولى كلّها مسمّيات لكتاب واحد، وضعها الناشرون لها لعدم بيان المؤلّف اسم كتابه هذا، لا في أوّله، ولا في آخره. أمّا الكتاب الأخير (قمر بني هاشم)، فهو كتاب آخر، أي أنّ للسيّد المقرّم كتابين عن العبّاس عليه السلام، ألّف أوّلاً كتاب (قمر بني هاشم)، ثمّ ألّف كتابه الآخر العبّاس عليه السلام، إذ أضاف في كتابه الأخير بعض الفصول لم تكن موجودة في كتابه الأوّل، وغيّر بعض عناوينه، لذلك فالكتاب الأخير أكبر من الأوّل، وبينهما عموم وخصوص مطلق (المقرم: العباس عليه السلام ص٨. (مقدمة مركز الابحاث العقائدية). وقد ذكر الطهراني أن كتاب حياة العباس بن علي طبع في ٢٤٠ صفحة، أما كتاب قمر بني هاشم فطبع في ١٧٦ صفحة (الطهراني: ٧/ ١٢١، ١٧/ ١٦٧).

ولم يتضح هل كلمة (المقدمة) التي ابتدأ الكتاب بها هي للمقرم أم وضعت من قبل الناشر(االمقرم،ص٩)، فهي ليست مقدمة كتاب، وإنما حديث عن أهمية النسب وهو الموضوع الأول في دراسة سير الأعلام، وفيها تحدث عن أهمية النسب وأثره في المجتمع، في النواحي الفقهية والاجتماعية، ومن هنا كان للنسابة دور كبير في المجتمع وخير مثال على ذلك عقيل بن ابي طالب، الذي استشاره الامام علي عليه السلام في اختيار امرأة ولدتها الفحولة من العرب (ابن عنبة: ص٣٥٧)، فأشار عليه عقيل بفاطمة بنت حزام الكلابية، لكن المقرم يستدرك هنا ويتساءل: ((لا يفوت القارئ أنّا نعتقد في حملة أعباء الإمامة، شمول علمهم كُلّ ما ذرأ الله ـ سبحانه ـ وبرأ وما جاءت به الأُمم من فضائل ومخازي وأوصاف وعادات في كُلّ حال، وللبرهنة على هذه الدعوى مجال في

غير هذا المختصر. إذن، فأين يقع علم عقيل وغير عقيل من واسع علم أمير المؤمنين، المتدفّق بأحوال قبائل العرب، وبمعرفة الشجعان منهم حتّى يحتاج إلى نظر عقيل؟! وهل يخفى علم ذلك على من كان يعلم الذّكر والأُنثى من النمّل كما في حديث أبي ذر الغفاري: دخلت أنا وأمير المؤمنين عليه السلام وادياً فيه نمل كثير، فقلت: سبحان الله محصيه! فقال عليه السلام: « لا تقلّ ذلك، وقل: سبحان الله باريه، فوالله إنّي لأحصيه وأعرف الذّكر منه والأُنثى (العباس عليه السلام ص ١٣). ويقول عليه السلام: « إنّ شيعتنا من طينة مخزونة قبل أن يخلق آدم. لا يشذّ منها شاذ ولا يدخل فيها داخل، وإنّي لأعرفهم حين ما أنظر إليهم.. ولأعرف عدوّي من صديقي» (البحراني: ٢/ ١٩٥) وإنّهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وأنسابهم) الشيخ المفيد: ص٢١٧(. فمن كان هذا علمه لا يحتاج إلى تعرّف القبائل والبطون من عقيل، مهما بلغ من العلم والمعرفة إلى ذُرَى عالية.)) (المقرم: ص١٢ ـ ١٣).

ثم قال المقرم (المقرم: ص١٣): ((نعم، وكم سائل عن أمره وهو عالم، فإنّه جرى صلوات الله عليه مجرى العادة في أمثاله، وكم لهم من ضرائب في أعمالهم عليهم السلام لحكم ومصالح لعلّنا ندرك بعضها، والبعض الآخر منها مطوي لدِيّهم مع أمثالها من غوامض أسرارهم))، ثم أخذ بضرب الأمثلة من السيرة النبوية العطرة وكيف كان يستشير أصحابه مع أن هو الأعلم والأبصر بالأمور، مبينا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعله أراد من وراء ذلك تنبيه أصحابه لخطأ الاستبداد بالرأي، وتأكيده على فائدة الاستشارة، والاستفادة من عقول الأخرين. ثم قال: ((وكان الأئمة عليهم السلام ـ وهم العالمون بما كان وما يكون ـ يتخذون الوسائل العادية لدفع الأضرار عنهم إذا علموا تأخّر القضاء من مراجعة الطبيب، أو الشخوص نحو المهيمن جلّ شأنّه، أو الشكوى إلى جدّهم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم (المقرم: ص١٣ ـ ١٦) وأضاف: ((والغرض من هذا كلِّه التعريف بأنّه لم يجب في التكوينات إلاّ جري الأُمور على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية، وأنّه لا غناء عنها لأيّ أحد، وأنّ الأئمة من أهل البيت وإن أمكنهم إعمال ما أقدرهم عليه الله سبحانه من التصرّفات حسبما يريدون، لكنّهم في جميع أدوارهم مقتدى الأُمّة ومسيروهم إلى ما يراد منهم من أمر الدّين والدنّيا، فعلى نهجهم يسير الناس، وبأفعالهم يتأسى البشر، وبإرشادهم ترفع حُجب الأوهامّ. وعلى هذا الأساس مشى أمير المؤمنين في اختيار الزوجة الصالحة)). ومع ذلك فقد انتهى المقرم إلى نفي إستشارة الإمام من أخيه وإنما دعاه ليخطب له فقط، إذ قال: ((على أنّ التأمّل في كلامه يفيدنا عدم الاستشارة من أخيه، فإنّه قال لعقيل: انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، فهو عليه السلام في مقام الطلب من أخيه أن يخطب امرأةً تصلح له، لا أنّه في مقام الاستشارة والاستطلاع منه، لكونه عالماً بأنساب العرب، وعارفاً ببيوتات الشرف والمنعة والفروسيّة)) (المقرم: ص١٧ ـ ١٨).

ثم انتقل السيد المقرم للحديث عن آباء وأجداد أبي الفضل العباس عليه السلام ابتداءً من آدم عليه السلام وإنتهاءً بأمير المؤمنين عليه السلام، فأكد على كون كُلّ واحد من هؤلاء الأنجاب غير مدنّس بشيء من رجس الجاهلية، ولا موصوماً بعبادة وثن، وهو الذي يرتضيه علماء الحقّ، لكونهم صدّيقين بين أنبياء وأوصياء، مستشهدا بالآية القرآنية

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (الشعراء: اية ٢١٩)، فإنّه أثبت لهم جميعاً ـ بلفظ الجمع المحلّى باللام ـ السّجود الحقّ الذي يرتضيه لهم. وإنّ ما يؤثر عنهم من أشياء مستغربة لا بدّ أن يكون من الشريعة المشروعة لهم، أو يكون له معنىً تظهره الدراية والتنقيب. نافيا أن يكون آزر أبا للنبي إبراهيم عليه السلام، وإنما هو عمه، أو جده لأمه، إذ لو كان آزر أبا لإبراهيم، فكان على القرآن أن يكتفي بالإشارة إلى أنه أباه ولا داعي لذكر اسمه، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾، (الأنعام: اية ٧٤) وتتبع سلسلة الآباء، موضحا مكانتهم وأدوارهم في قيادة وسيادة مجتمعهم (المقرم: ص٢٠ ـ ٢٦)، حتى انتهى إلى قصي بن كلاب الذي صنع طعاما أيام منى(الطبري: ٢/ ١٩) (المقرم: ص٢٧)، واستمر ذلك الحال حتى جاء الإسلام، وذكر نكتة لطيفة، ((فالطعام الذي يصنعه السلطان أيام منى كلّ عام من آثار قصي)) (المقرم: ص٢٧). وأنكر ما يقال أنه كان قد حصل على سدانة البيت معاوضة بالخمر، قائلا: ((تولّى قصي سدانة البيت: إمّا بوصاية من حليل عند الموت إليه، أو أنّها كانت عند ابنته زوج قصي بالوراثة، فقام زوجها بتدبير شؤون البيت لعجز المرأة عن القيام بهذه الخدمة، أو أنّ أبا غبشان الخزاعي كان وصيّ حليل على هذه السدانة، فعاوضه عليها قصي بأثواب وأذواد من الإبل. هذا هو الصحيح المأثور في ولاية قصي سدانة البيت، ويتفق مع العقل الحاكم بنزاهة جدّ الرسول الأقدس خاتم الأنبياء عمّا تأباه شريعة إبراهيم الخليل من المعاوضة بالخمر المحرم في جميع الأديان. أيجوز لجدّ الرسول أن يجعل للخمر قيمة ـ وثمنها سحت ـ وهو المانع عنها، المحذّر قومه منها؟! فإنّه قال لولده وقومه: «اجتنبوا الخمر، فإنّها لا تصلح الأبدان، وتفسد الأذهان»، فكيف يعاوض بها؟! بل لا يتحيّل إلى مطلوبه بالخمر وهو القائل: «من استحسن قبيحاً نزل إلى قبحه، ومن أكرم لئيماً أشركه في لؤمه، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، ومن طلب فوق قدره استحقّ الحرمان، والحسود هو العدو الخفي» (المقرم: ص٢٧ ـ ٢٨).

وعند حديثه عن عبد مناف بن عبد المطلب أنكر ما يقال إنه سمي نسبة إلى صنم جعلته أمه خادما له، فقال: (لا شكّ في نزاهة آباء النّبي وأُمهاته في جميع أدوار حياتهم من الخضوع للأصنام كرامة لحبيبه وصفيّه الرسول الأعظم، فليس بصحيح ما يقال: من أنّ في آباء النّبي وأُمهاته من يعبد الصنم، أو يخضع له، لشهادة ما تقدّم من الأحاديث عليه)). ولكن لماذا سمي مناف عند المقرم، يقول: ((ويسمّى مناف، لأنه أناف على الناس وعلا أمره حتّى ضربت له الركبان من أطراف الأرض، وكان اسمه عبداً، ثمّ أُضيف إلى مناف فقيل له: « عبد مناف» وهذا هو الصحيح المأثور))، وأضاف: ((على أنّه لم يكن من الأصنام اسمه «مناف»، وإنّما الموجود «مناة» بالتاء المثناة من فوق، ومن هنا كان يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام: ٣٢: «لا أدري أين كان هذا الصنم؟ ولمن كان؟ ومن نصبه» (المقرم: ص٢٨ ـ ٢٩). ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزبير: أنّ أُمه أخدمته مناة (بالتاء المثناة من فوق) فسمي عبد مناة، ولكن رأي قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحوّله عبد مناف.)). (السهيلي: ١/ ٨) (المقرم: ص٢٩)

ووقف المقرم طويلا عند أبي طالب (المقرم: ص٣٥ـ٤٩) مؤكدا على أنه كان من الموحدين طيلة حياته شأنه شأن أباءه، مبينا من خلال مواقفه وأقواله شعرا ونثرا على إيمانه بالنبي الأكرمﷺ، وموضحا سبب افتراء البعض عليه بالكفر، فقال: ((هل يجد الباحث بعد هذا كُلّه ملتحداً عن الجزم بأنّ شيخ الأبطح كان معتنقاً للدّين الحنيف، ويكافح طواغيت قريش حتّى بالإِتمام مع النّبي في صلابة، وإن أهمله فريق من المؤرّخين رعاية لمّا هم عليه من حبّ الوقيعة في أبي طالب ورميه بالقذائف، حنقاً على ولده (الإِمام) الذي لم يتسنّ لهم أي غميزة فيه، فتحاملوا على أُمّه وأبيه، إيذاءً له، واكثاراً لنظائر من يرومون إكباره وإجلاله ممّن سبق منهم الكفر، وحيث لم يسعهم الحظّ من كرامة النّبي أو الوصيّ عمدوا إلى أبويهما الكريمين فعزوا إليهما الطامات، وربما ستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إيثاراً لما يروقهم اثباته!!)) (المقرم: ص٤٥).

وفسر قول أبي طالب: ((إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي)) (الطبري: ٢/ ٥٨) (ابن الأثير: ٢/ ٥٨)، بأنه تأكيد على التوحيد، فقال: ((وجوابه: هذا من أنفس التورية وأبلغ المحاورة، فإنّ مراده... الاعتراف بإيمانه، وأنّه باق على الملّة البيضاء، وحنيفية إبراهيم الخليل الذي هو دين الحقّ والهدى، وهو دينه ودين آبائه، ثُمّ زاد أبو طالب في تطمين النّبي بالمدافعة عنه مهما كان باقياً في الدنيا. نعم، من لا خبرة له بأساليب الكلام وخواصّ التورية يحسب أنّ أبا طالب أراد بقوله: «إنّي لا أُفارق ديني... إلى آخره» الخضوع للأصنام، فصفق طرباً، واختال مرحاً. وجاء الآخر يعتذر عنه بأنّه كان يراعي بقوله هذا الموافقة لقريش، ليتمكّن من كلائة النّبي وتمشية دعوته. نحن لا ننكر أنّ شيخ الأبطح كان يلاحظ شيئاً من ذلك ويروقه مداراة القوم في ما يمسّ بكرامة الرسول للحصول على غايته الثمينة، لكنّا لا نصافقهم في كلّ ما يقولون: من انسلاله عن الدّين الحنيف إنسلالاً باتاً، فإنّه خلاف الثابت من سيرته حتّى عند رواة تلكم المخزيات، ومهملي الحقائق الناصعة، حذراً عمّا لا يلائم خطتهم، فلقد كان يراغم أُولئك الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر بالإيمان والائتمام بالصلاة مع النّبي)) (المقرم: ص٤٧ـ٤٨).

وفي استعراضه الحديث عن أمير المؤمنينعليه السلام، رفض أن يقال أن الإمام عليعليه السلام أول من آمن بالنبي محمدﷺ إذ متى «كفر» علي حتّى يؤمن!! وإنّما كان هو وصاحب الدعوة الإلهية عارفين بالدّين وتعاليمه، معتنقين له، منذ كيانهما في عالم الأنوار قبل خلق الخلق، غير أنّ ذلك العالم مبدأ الفيض الأقدس ووجودهما الخارجي مجراه، فمحمّد نبيّ وعلي وصيّ وآدم بين الماء والطين صلّى الله عليهم أجمعين. ثم أن نبيّ الإسلام، وهو العارف بأحكامه، والذي خطّط لنّا التكاليف قبل إسلام ابن عمّه، وأنجز له جميع ما وعده به من الإخوّة والوصاية والخلافة، يوم أجاب دعوته وآزره على هذا الأمرّ وقد أُحجم عنه عندما نزلت آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: اية ٢١٤)، وهل ترى أنّ النّبيﷺ كان يومئذ يجد في شريعته عدم الجدوى بإسلام مثل عليعليه السلام لصغره، إلاّ أنّه حاباه، كلاّ وحاشا. وإنّما قابله بكلّ ترحيب، وخوّله ما لا يخوّل أحداً صحة إسلامه عنده، بحيث

كان على أساس رصين، فاتخذه ردءاً، كمن اعتنق الدين عن قلب شاعر، ولبّ راجح، وعقلية ناضجة يغتنم بذلك محاماته ومرضاة أبيه في المستقبل. وإذا أكبرنا النّبي الأعظمﷺ عن كلّ مداهنة ومصانعة، فلا نجد مسرحاً في المقام لأيّ مقال إلاّ أن نقول: إنّ إسلام عليعليه السلام كان عن بصيرة وثبات مقبول عند الله ورسوله وكان ممدوحاً منهما عليه. كما تمدّح بذلك أمير المؤمنينعليه السلام غير مرّة وهو أعرف الأُمّة بتعاليم الدّين بعد النّبي الكريم فقال: «أنا الصدّيق الأكبر (ابن قتيبة: ص١٦٩) (النصر الله: ص١٨٧ ـ ١٩١)، لا يقولها بعدي الاّ كاذب مفتر، صلّيت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين (المقرم، ص ٥٢).

ثم أشار إلى إلتفاتة فقهية قائلا: ((ولو تنازلنا عن جميع ذلك، فمن أين علمنا أن اشتراط البلوغ في التكليف كان مشروعاً في أوّل البعثة، فلعلّه كبقية الأحكام التدريجية نزل به الوحي فيما بعد، ولقد حكى الخفاجي في شرح الشفا ج٣ ص١٢٥ في باب دعاء النّبي على صبي عن البرهان الحلبي والسبكي: أنّ اشتراط الأحكام بالبلوغ إنّما كان بعد واقعة أحد، وعن غيرهما أنّه بعد الهجرة، وفي السيرة الحلبية ج١ ص٣٠٤ أنّ الصبيان يومئذ مكلّفون وإنّما رفع القلم عن الصبي عام خيبر. وعن البيهقي أنّ الأحكام إنّما تعلّقت بالبلوغ في عام الخندق أو الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز)) (المقرم: العباس ص٥٢ ـ٥٣.) وينظر: (الحلبي، ١/ ٤٣٤) ثم قال: ((على أنّا معاشر الإمامية نعتقد في أئمة الدّين بأنّهم حاملون أعباء الحجّة، متحلّون بحلّي الفضائل كُلّها، منذ الولادة، كما بعث عيسى في المهد نبيّاً، وأُوتي الحكم يحيى صبيّاً، غير أنّهم بين مأمور بالكلام أو مأمور بالسكوت حتّى يأتي أوانه، فلهم أحكام خاصّة غير أحكام الرعيّة، ومن أقلّها قبول إجابة الدعوة ونحوها. فإذن، لا مساغ لأيّ أحد البحث في المسألة)) (العباسعليه السلام ص٥٣).

ورفض السيد المقرم الفرية القائلة إلى أن فاطمة بنت أسد لما دخلت البيت الحرام لتلد أمير المؤمنينعليه السلام (النصر الله: ص٥١ـ ٢٨٩)، أرادت السجود لهبل فمنعها الإمام عليعليه السلام وهو في بطنها (الحلبي: ١/ ٤٢٢)، إذ أن في ذلك طعنا بالسيدة فاطمة بنت أسد المبرأة من دنس الشرك ورجس الجاهلية. (المقرم: ص٦٨) وهي الوعاء التي حملت الوصي بالولاية على المؤمنين، وقد اختصعليه السلام بلقب أمير المؤمنين حتى أن الإمام الصادقعليه السلام غضب على من ناداه بأمير المؤمنين وقال له: مه! لا يصلح هذا الاسم إلا لجدي أمير المؤمنين (المقرم: ص٦٨ ـ ٦٩).

وختم السيد المقرم حديثه عن نسب أبي الفضل العباسعليه السلام قائلا: ((هذه هي السلسلة الذهبية التي تحلّى بها أبو الفضل وهي (آباؤه الأكارم)، وقد اتحد مع كُلّ حلقة منها الجوهر الفرد، لأثارة الفضائل، فما منهم إلاّ من أخذ بعضادتي الشرف، وملك أزمة المجد والخطر، قد ضَمّ إلى طيب المحتد عظمة الزعامة، وإلى طهارة العنصر نزاهة الإيمان، فلا ترى أيّاً منهم إلاّ منارَ هدىً، وبحرَ ندىً، ومثالَ تُقىً، وداعية إلى التوحيد وإلى بسالة وبطولة وإباء وشمم، وهم الّذين عرقوا في سيّدنا العبّاسعليه السلام هذه الفضائل كُلّها، وإن كان القلم يقف عند انتهاء السلسلة إلى أمير

المؤمنين، فلا يدري اليراع ما يخطّ من صفات الجلاّل والجمالّ، وأنه كيف عرّقها في ولدِهِ المحبوب (قمر الهاشميين))) (المقرم: ص٥٣ ـ ٥٤).

وفي حديثه عن الأعمام تطرق إلى حمزة (المقرم: ص٥٥ ـ ٦١) وعقيل (المقرم: ص٦٥ ـ ٨٧) وجعفر (المقرم: ص٨٨ ـ ٩٣)، ولا إشكال في وجود هؤلاء ومكانتهم، لكنه عد من أعمامه طالب بن أبي طالب محاولا إثبات وجوده بأدلة لا تقوى على إثباته، والغريب أنه يقول: ((إنّ الثابت عند المحقّقين إسلام طالب بن أبي طالب من أوّل الدعوة)) (المقرم: ص٦٢ ـ ٦٤)، ولم يوضح من هم أولئك المحققون، بل يروى أن النبي محمدﷺ رأى أربعة أنوار على العرش، وهي نور عبد المطلب وأبو طالب وعبد الله وطالب. ونالوا هذه الدرجة بكتمانهم الإيمان والصبر على ذلك (ابن الفتال: ١/ ٨١) (الشامي: ص٢٣٤) (المجلسي: ٣٥/ ١٦). وأن قريشا أخرجته كرها إلى بدر، لكنه فقد بعد ذلك (ابن هشام: ٢/ ٤٥١) خبة من الرواة: ص٨٦، (الطبري: ٢/ ١٤٤) (الكليني: ٨/ ٣٧٥) (أبو الفرج: ٤/ ٣٨٣) (البيهقي: ٣/ ١٠٥) (الكلاعي: ١/ ٣٣٠) (السيوطي: ٣/ ١٦٥) (الطريحي: ٢/ ١٥٠)، وقيل إن فرسه أقحم به في البحر فغرق (ابن عنبة: ص٣٠)، ويرجح السيد المقرم اغتياله من قبل قريش، لما علمت بإسلامه (المقرم: ص٦٤) (العاملي: ٥/ ٢٨٠) (الكوراني: ٢/ ٧).

إن الادلة لا تقوى على اثبات شخصية طالب. فالروايات التاريخية أغفلت الحديث عن ابن لأبي طالب باسم طالب، فليس له حضور في الوقائع المكية حتى الهجرة، نعم وردت إشارة لدى ابن هشام تناقلتها المصادر من بعده لمشاركته كرها في بدر مع المشركين، ولعله خلطا مع عقيل بن أبي طالب، ويظهر أن تسمية أبي طالب فهمت على أنها كنية، والواقع هي اسم كما في أبي لهب وأبي جهل وأبي ذر، فليس لهم ابناء باسم لهب وجهل وذر. وكان يجب أن نجد مادة تاريخية عنه أن صح وجوده كونه الأكبر من بين أولاد أبي طالب (ال نصر الله: ص٢٠).

وفي حديثه عن عقيل برر قدومه على معاوية في الشام بعد استشهاد أمير المؤمنين، ((كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت إلى معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة، وساقهم وجه الحيلة في الإبقاء على النفس والكف من بوادر الرجل، فلا هم بملومين بشيء من ذلك، ولا يحطّ من كرامتهم عند الملأ الديني، فإنّ للتقية أحكاماً لا تنقض ولا يلام المضطرّ على أمر اضطرّ إليه. على أنّ عقيلاً لم يؤثر عنه يوم وفادته على معاوية إقرار له بإمامة ولا خضوع له عند كرامة، وإنّما المأثور عنه الوقيعة فيه، والطعن في حسبه ونسبه، والحطّ من كرامته، والإصحار بمطاعنة، مشفوعة بالإشارة إلى فضل أخيه أمير المؤمنين)) (المقرم: ص٧١).

أما عن جعفر بن أبي طالب فقد أكد المقرم على أنه كان الأمير في مؤتة وليس زيد كما ذهب إليه البعض مؤكدا ذلك بالاهتمام النبوي بشأنه ومكانته، إذ: ((ما ذهب إليه فريق من المؤرّخين من تقديم زيد وابن رواحة عليه (هذا سهو من السيد المقرم، إذ لم يذكر أحد من المؤرخين أن ابن رواحة قدم على جعفر)، يدفعه صحيح الأثر والاعتبار الصادق (ال

نصر الله: ص١٥٠ ـ ١٥١). وهذه العظمة هي التي تركت قدومه من الحبشة يوم فتح خيبر أعظم موهبة منح الله تعالى بها نبيّه، تعادل ذلك الفتح المبين، حتّى قالﷺ: «ما أدري بأيّهما أُسرّ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر» (ابن قتيبة: ص٢٠٥) (الذهبي: ١/ ٢١٣) (المتقي الهندي: ١٣/ ٣٢٣)، ثُمّ قال له: «ألا أحبوك، ألا أمنحك»؟ فظنّ الناس أنّه يعطيه ذهباً وفضّة، لما فتح الله عليه من خيبر، فقال له جعفر: بلى يا رسول الله، فعلّمه صلاة التسبيح وهي المعروفة بصلاة جعفر(الكليني: ٣/ ٣٦٥) (الصدوق: ١/ ٥٥٢) (زين الدين: ٢/ ٢٧٢). وهذه الحبوة من الرسول الكريم لابن أخيه(**) حيث علم أنّ من فرط قداسته لا يروقه إلاّ ما كان من عالم القدس، فخلع عليه بها، وجعله وسام شرف له، وهي من المتواترات بين العامّة والخاصّة، كما نصّ عليه المجلسي في البحار (المجلسي: ٨٨/ ٢١٢) ولكن شرذمة من مناوئي أهل البيت لم يرق لهم ثبوت تلك المنحة لأخي أمير المؤمنين، وحيث لم يسعهم أن يلصقوها بواحد منهم زحزحوها إلى العبّاس بن عبد المطلب كما في شفاء السقام للسيّد جعفر الكتاني صفحة٢٠. وقد كشفت الحقيقة عن نفسها، وأماطت ستار التمويه بافتعال هذه النسبة من عكرمة مولى ابن عباس الكذّاب بنصّ الذهبي في الميزان، وياقوت في المعجم، وابن خلكان في الوفيات بترجمته)). (المقرم: ص٩٢ ـ ٩٣). وينظر: (ياقوت الحموي: ١٢/ ١٨٤) (ابن خلكان: ٣/ ٢٦٥ـ٢٦٦) (الذهبي: ٧/ ١٧٧) (ميزان الاعتدال ٣/ ٩٤).

ثم تحدث السيد المقرم عن أخوة أبي الفضل العباس بعد الحسن والحسين، مفردا حديثا عن محمد بن الحنفية الذي قال له الإمام الحسنعليه السلام: ((يا محمّد بن علي، لا أخاف عليك الحسد، وإنّما وصف الله به الكافرين فقال تعالى:﴿كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة ١٠٥، ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً)). (المقرم: ص٩٢ ـ ٩٧) فقال السيد المقرم: ((وهذه الوصية تفيدنا عظمة ابن الحنفية من ناحية الإيمان وأنّه من عياب العلم ومناجم التقى، فأيّ رجل يشهد له إمام وقته بأنّ الله لم يجعل للشيطان عليه سلطاناً، وأنّه لا يخشى عليه من ناحية الحسد الذي لا يخلو منه أو من شيء من موجباته، أيّ أحد لم يبلغ درجة الكمال ثُمّ أي رجل أناط أمير المؤمنين البرّ به بالبرّ بنفسه التي يجب على كافة المؤمنين أن يبرّوا بها)) (المقرم: ص١٠٣)، أما عن تبريره لعدم حضور واقعة كربلاء، فقال المقرم: ((وعدم حضوره مشهد الطفّ: إمّا لما يقوله العلاّمة الحلّي في أجوبة المسائل المهنائية من المرض، أو لما يروي محمّد بن أبي طالب في المقتل من إذن الحسين له في البقاء بالمدينة، يعرّفه بما يحدث هناك، فهو معذور مقبول)) (المقرم: ص١٠٥).

ثم أشار إلى أخوات أبي الفضلعليه السلام مفردا الحديث عن العقيلة زينب الكبرى ودورها البطولي في كربلاء (المقرم:ص١١٢ ـ ١٢٤). ثم انتقل للحديث عن أم أبي الفضل العباسعليه السلام، وهي أم البنين فاطمة بنت حزام (حرام) بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن (ابن عنبة: ص٣٥٦)، ونسبها من ناحية أبيها وأمها هو ما كان يقصده أمير

المؤمنين عليه السلام بقوله: ((ولدتها الفحولة من العرب))، فقد ظهرت في أبي الفضل عليه السلام الشجاعتان، الهاشمية التي هي الأربى والأرقى، من ناحية أبيه سيّد الوصيّين، والعامرية من ناحية أُمّه أُمّ البنين. (المقرم: ص١٢٥ ـ ١٢٧) فإنّ من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، جدّ ثمامة والدة أم البنين، وهو الجدّ الثاني لأُمّ البنين، قيل له: ملاعب الأسنّة، لفروسيته وشجاعته، لقّبه بذلك حسّان لما رآه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به قال: ما هذا إلاّ ملاعب الأسنة. (ابن قتيبة: ١/ ٢٦٩) (أبو الفرج: ١٥/ ٢٤١) (البكري: ٣/ ٧٠٩) (ابن عساكر: ٢٦/ ١٠٠) (البغدادي: ٢/ ٢١٩) وهو الذي استعانه ابن أخيه عامر بن الطفيل على منافرة علقمة بن علاثه، لّما تفاخرا على أن يسوق كُلّ منهما مائة ناقة تكون لمن يحكم له، ووضع كُلّ منهما رهناً لمن أبنائهم على يد رجل من بني الوحيد، فسمّي الضمين إلى اليوم، وهو الكفيل، ولما استعانه عامر دفع إليه نعليه وقال له: استعن بهما في منافرتك، فإنّي قد ربعت بهما أربعين مرابعاً. والمرباع: ما يأخذه الرئيس من ربع الغنيمة دون أصحابه، خالصاً لنفسه، وذلك عندما كانوا يغزون في الجاهلية (ابن منظور: ٧/ ٤١٥) (الزبيدي: ١١/ ١١٢)، وهذان النعلان من مختصات الرئيس التي يخرج بها في الأيام الخاصّة، وإلاّ فلا مزية لهما حتّى يستعين بهما على المنافرة (المقرم: ص١٢٧ ـ ١٢٨).

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو أخو عمرة، الجدّة الأوّلى لأُمّ البنين، كان عامر أسود أهل زمانه، وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة، وأبعدها اسماً، حتّى بلغ أنّ قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب قال: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإنّ ذكر نسباً عظم عنده وأرفده، وإلاّ أعرض عنه. وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له، قال له قيصر: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل؟ فغضب علقمة، ثُمّ إنّه دخل على ملك الروم فقال له: انتسب؟ فانتسب له، قال الملك: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل؟ فغضب وخرج عنه (ابن حجر: ٤/ ٤٥٨) (البغدادي: ٣/ ٨٠) (المقرم: ص١٢٨ ـ ١٢٩).

ومنهم عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، والد كبشة، الجدّة الثانية لأُمّ البنين، كان وفّاداً على الملوك، وله قدر عندهم، ومن هنا سُمّي الرحّال، وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كان يبعث بها كُلّ عام إلى سوق عكاظ، فقتله البراض بن قيس الكناني واستاق العير، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف وقيس (المقرم: ص١٢٩).

ومنهم الطفيل، فارس قرزل، وهو والد عمرة، الجدّة الأُولى لأُمّ البنين، كان معروفاً بالشجاعة والفروسية، وهو أخو ملاعب الأسنّة، وربيعة وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لأُمهم: أُمّ البنين، وإياها عنى لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب لما وفد بنو جعفر على النعمان بن المنذر، وكان سميره الربيع بن زياد العبسي، فاتهموه بالسعي عليهم، فلمّا غدوا على النعمان كان معهم لبيد وهو أصغرهم، فرأوا النعمان يأكل مع الربيع، فقال لبيد:

يا واهبَ الخير الجزيل من سعة
نحنُ بنو أُم البنين الأربعة
ونحنُ خير عامر بن صعصعة
المطعمون الجفنة المدعدعة
الضاربون الهام وسط الخيضعة
إليك جاوزنا بلاداً مُسبعة
تخبر عن هذا خبيراً فاسمعه
مهلاً أبيتَ اللعن لا تأكل معه
إنّ أُسّته من برص ملمّعة
وإنّه يُولج فيها إصبعه
يُولجها حتّى يواري اشجعه
كأنّما يطلب شيئاً ضيّعه

فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب؛ لأنّ لهم شرفاً لا يدافع، ولذلك طرد النعمان الربيع عن مسامرته وقال له: (ياقوت الحموي: ١/ ٣٨٦) (البغدادي: ٤/ ١٠).

شرّد برحلك عنّي حيث شئت ولا
تكثر عليّ ودع عنكَ الأباطيلا
قد قيل ذلك إنّ حقاً وإن كذباً
فما اعتذارك في شيء إذا قيلا

ثم انتقل المقرم (المقرم: ص١٣٢) للحديث عن زواج أم البنين من أمير المؤمنين عليه السلام الذي اختلف فيه المؤرخون هل كان بعد وفاة الصديقة فاطمة عليها السلام (الدمشقي: ٢/ ١٢١) (الشامي: ص٤١١)، أم بعد زواجه من أمامة بنت أبي العاص بن الربيع (ابن كثير: ٤ / ٥٨١) (الحلبي: ٢/ ٤٥٢) (القمي: ١/ ١١٥)، مؤكدا على أن الإمام علي عليه السلام لم يتزوج بامرأة في أيام الصديقة فاطمة بدعوى أن الله حرم على الإمام علي عليه السلام أن يتزوج في حياة الصديقة عليها السلام (الطوسي: ص٤٣) (ابن شهر آشوب: ٣/ ١١٠) (الطبري: ص٣٨١). لكن السيد المقرم لم يثبت عمر أم البنين حينما تزوجت الإمام علي عليه السلام، ولم يوضح متى ولدت، ولا محل سكن قبيلتها، وهناك رأي متأخر أنها ولدت في السنة الخامسة للهجرة (السالكي: ص٢٢)، فتكون بهذا أصغر من الحسين بسنة ومن الحسن بسنتين وأكبر من زينب بسنة، فكيف يتفق مع القول بأنها أحسنت تربيتهم، اللهم إلا أن يقال أنها أحسنت معاملتهم. قال المقرم: (المقرم: ص١٣٣) ((وبلغ من عظمها ومعرفتها وتبصّرها بمقام أهل البيت عليهم السلام، أنّها لمّا أُدخلت على أمير المؤمنين ـ وكان الحسنان مريضين ـ أخذت تُلاطف القول معهما، وتُلقي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك تُحسن السيرة معهما وتخضع لهما كالأُم الحنون)). وكان أول وليد لها هو أبو الفضل العباس عليه السلام، الذي ولد في الرابع من شعبان سنة ٢٦هـ. وهنا يمكن القول:

١. إذا كانت ولادة أم البنين في السنة الخامسة للهجرة، فيكون عمرها في الزواج (٢١) سنة، وهو سن متأخر للزواج عند العرب يومذاك.
٢. إذا كانت ولادة أبو الفضل سنة ٢٦ هـ، فكيف يكون زواجها من الإمام بعد وفاة الصديقة فاطمة عليها السلام، إذ تأخر إنجابها لخمس عشرة سنة.

وقد ذكر السيد المقرم أحداث عن نشأة أبي الفضل من مصادر حديثة، وليست من المصادر الأولية (المقرم: ص١٣٧ ـ١٣٨)، وفي حديثه عن صفات أبي الفضل العباس عليه السلام، توقف عند الروايات

التي وصفت رأس قتيل أمردا قيل أنه العباس، إذ قال: ((ويمنع الإذعان بها في الروايتين من تعريف المقتول بأنّه العبّاس بن عليعليه السلام، عدم الالتئام مع كونه شاباً أمردا، فإنّ للعباس يوم قتله أربعاً وثلاثين سنة، والعادة قاضيّة بعدم كون مثله أمرد، ولم ينصّ التاريخ على كونه كقيس بن سعد بن عبادة لا طاقة شعر في وجهه)) (المقرم: ص١٤١). وفي رواية أن الرأس ربما يكون لعثمان بن علي الذي كان له من العمر (٢١) سنة، أو رأس العباس الأصغر لكن المقرم استنتج من رواية الصدوق وغيره أن الرأس لحبيب بن ظاهر الأسدي. وتساءل المقرم عن وجود الأصبغ بن نباته في الكوفة بعد استشهاد الإمام الحسينعليه السلام، وعدم حضوره كربلاء مع أنه لم يسجن من قبل ابن زياد، فقال: ((فلم يعرف الوجه في تأخّره عن حضور المشهد الكريم، مع مقامه العالي في التشيّع، وإخلاصه في الموالاة لأمير المؤمنين وولده المعصومينعليهم السلام، ومشاهدته هذا الفعل من الطاغي يدلّ على عدم حبسه عند ابن زياد كباقي الشيعة الخلّص، ولا مخرج عنه إلاّ بالوفاة قبل تلك الفاجعة العظمى كما هو الظاهر ممّا ذكره أصحابنا عند ترجمته، من الثناء عليه، والمبالغة في مدحه، وعدم الغمز فيه. فتلك الجملة: « قلت لأبي»، لا يعرف من أين جاءت. ولا غرابة في زيادتها بعد طعن أهل السنّة فيه كما في اللألئ المصنوعة ج١ ص٢١٣، فإنّه بعد أن ذكر حديث الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري «أنّهم أُمروا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي»، قال: «لا يصحّ الحديث، لأنّ الأصبغ متروك، لا يساوي فلساً «وفيه ص١٩٥ ذكر عن ابن عباس حديث الركبان يوم القيامة رسول الله وصالح وحمزة وعلي قال: « رجال الحديث بين مجهول وبين معروف بعدم الثقة» (المقرم: ص١٤٤- ١٤٥).

وتحدث بعد ذلك عن كنى أبي الفضل العباسعليه السلام التي وُصف ببعضها في يوم الطفّ، والبعض الآخر كان ثابتاً له من قبل (المقرم: ص١٤٦)، فمن كناه:

أولا: أبو القاسم: لم ينصّ المؤرّخون وأهل النسب على كنيته بأبي القاسم؛ إذ لم يذكر أحد أنّ له ولداً اسمه القاسم. نعم، خاطبه جابر الأنصاري في زيارة الأربعين بها قال: «السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا عباس بن علي (المجلسي: ص٩٨/ ٣٣٠)، وبما أنّ هذا الصحابي الكبير المتربّي في بيت النبوّة والإمامة خبير بالسبب الموجب لهذا الخطاب، فهو أدرى بما يقول. (المقرم: ص١٤٦-١٤٧).

ثانيا: أبو قربة(***): لحمله الماء في مشهد الطفّ غير مرّة، وقد سدّت الشرائع، ومنع الورود على ابن المصطفى وعياله، وتناصرت على ذلك أجلاف الكوفة، وأخذوا الاحتياط اللازم، ولكن أبا الفضل لم يرعه جمعهم المتكاثف، ولا أوقفه عن الإقدام تلك الرماح المشرعة، ولا السيوف المجرّدة، فجاء بالماء وسقى الجميع.

ثالثا: أبو الفضل (أبي نصر البخاري: ص٨٨) (ابن عنبة: ص٣٥٦) (المزي: ٢٠/ ٤٧٩) (الزرباطي: ٤/ ٣١٨): وقد اشتهر بكنيته الثالثة «أبي الفضل» من جهة أنّ له ولداً اسمه الفضل، وكان حرياً بها فإنّ فضله لا يخفى، ونوره لا يطفى. ومن فضائله الجسام نعرف أنّه ممّن حبس الفضل عليه، ووقف لديه، فهو

رضيع لبانه، وركن من أركانه، وإليه يشير شارح ميمية أبي فراس. (المقرم: ص١٤٧) (الأمين: ٩/ ٢٥٩) أما عن ألقابه فذكر منهم:

أولا: باب الحوائج: اشتهر بين العامّة والخاصّة بأنّه سلام الله عليه باب الحوائج؛ لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات (المقرم: ص ١٤٨).

ثانيا: قمر بني هاشم: (أبو الفرج: ص٥٦) (ابن شهر آشوب: ٣/ ٢٥٦) (البحراني: ص٢٨٣) لوضاءته وجمال هيئته وإنّ اسرة وجهه تبرق كالبدر المنير، فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء إلى ضياء. (المقرم: ص١٤٨ ـ ١٤٩).

ثالثا: الشهيد: لم ينصّ عليه أحد إلاّ أنّه الظاهر من عبارات أهل النسب. (أبو نصر البخاري: ص٨٩) (العلوي: ص٢٣٦، ٢٤٣)

رابعا: العبد الصالح (المقرم: ص١٤٨): قال المقرم: كان الحريّ بأرباب المقاتل والنسب أن يدوّنوا له هذا اللقب المعرب عن أسمى منزلة له، وهو «العبد الصالح» كما خاطبه الإمام الصادق في الزيارة: «السلام عليك أيّها العبد الصالح». (ابن قولويه: ص٤٤١) قال المقرم: ((فإنّك جدّ عليم بأنّ هذه الصفة أرقى مراتب الإنسان الكامل؛ لأنّها حلقة الوصل بين المولّى والعبد، وأفضل حالات أيّ فاضل، حيث يجد نفسه الطرف الرابط لموجد كيانه جلّ وعلا، وإن من أكمل مراتب الوجود فيما إذا التأم المنتهى مع المبدأ بنحو الصلة، وهذا لا يكون إلاّ إذا بلغ العبد أرقى مراتب الإنسانية التي تلحقه بعالم البساطة، وتنتهي به إلى صقع التجرّد، فتؤهّله لأن يتصل بالمبدأ الأعلى، فلو فقد الإنسان تلك الملاءمة دحره عن حضيرة القدّاسة انقطاع النسبة، وبعد المرمى، وشسوع المسافة. ولا نعني بهذه المرتبة أن يكون العبد مواظباً على العبادات البسيطة المسقطة للخطاب والرافعة للتعزير فحسب، وإنّما نقصد منه ما إذا عبد الله سبحانه حقّ عبادته، الناشئة عن فقه وبصيرة ومعرفة بالمعبود الذي يجب أن يعبد، من دون لحاظ مثوبة أو عقوبة، حتّى يكون المولى هو الذي يسمّيه عبداً له، ويصافقه على تصديق دعواه بالعبودية له. وما أسعد العبد حيث يبصر ما بيده من سلك الطاعة، ويعرف أنّ مولاه قابض على طرفه الآخر، تزلفه إليه جاذبة الصلة، وأشعة القرب. وعلى ما قلناه كانت هذه المرتبة عند الأنبياء عليهم السلام أرقى مراتبهم، وأرفع منصاتهم؛ لأنّ طرف عبوديتهم أمنع وأشرف من طرف رسالتهم، فالطرف الأعلى في العبودية «مبدأ الحقّ سُبحانه وتعالى»، والطرف الأسفل منته إلى شخص النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّا النبوة فمبدؤها الرسول ومنتهاها الأُمة. ولولا أنّ هذه الصفة أسمى الصفات التي يتصف بها العبد لما خصّ الله تعالى أنبياءه، بها فقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ البقرة٢٣... ومن هنا ظهر لنا أنّ من أجلى الحقائق وأرقى مراتب الفضلّ الّذي لا يُحلّق إليهِ طائر الفكر، ولا يدرك مداه أي تصوّر، غير أنّ من الواجب التصديق به على الجملة، هو وصف سيّدنا العبّاس عليه السلام بهذه الصفة الكاملة «العبد الصالح» التي أضافها الله تعالى إلى أنبيائه، ومبلّغي شريعته، وأمنائه على وحيه، ومنحه بها الإمام الصادق عليه السلام

(المقرم: ص١٤٩ ـ ١٥٣).

خامسا: السقا: من أهم ألقاب سيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام هو السقا أو السقاء (البلاذري: ص٢/ ١٩٢) (ابن أبي الدنيا: ج١٢ ص١٣٠) (أبو الفرج: ص٥٥) (ابن سيده: ج٤ ق١ ص١٧٤) (الطبرسي: ١/ ٣٩٥) (ابن إدريس: ١/ ٦٥٦) (السماوي: ص٦١)، وقد أطال السيد المقرم في هذا اللقب مؤكدا على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من تأكيد عليه(المقرم: ص١٥٤ ـ ١٥٧)، ومستتبعا المواقف الكريمة للأسرة الهاشمية في تولي مهمة السقاية عبر التاريخ، كقصي بن كلاب وهاشم بن عبد مناف وعبد المطلب وأبي طالب ثم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وغيرها مع أعدائه، ثم الإمام الحسين عليه السلام قبيل كربلاء مع الجيش الأموي بقيادة الحر حتى انتهى الأمر إلى أبي الفضل العباس عليه السلام (المقرم:ص١٥٧ ـ ١٦٣)، ((وأني أحسب أنّ ما ناء به أبو الفضل عليه السلام في أمر السقاية لا يوازنه شيء من ذلك، يوم ناطح جبالاً من الحديد ببأسه الشديد، حتّى اخترق الصفوف، وزعزع هاتيك الألوف، وليس له هَمّ في ذلك المأزق الحرج إلاّ إغاثة شخصيّة الرسالة، المنتشرة في تلك الأمثال القدّسية من الذرية الطيّبة، ولم تقتعه هذه الفضيلة حتّى أبت نفسيته الكريمة أن يلتذّ بشيء من الماء قبل أن يلتذّ به أخوه الإمام وصبيته الأزكياء. هنالك حداه إيمانه المشفوع باليقين، وحنانه المرتبط بالكرم إلى أن ينكفىء إلى المخيّم ولا يحمل إلاّ مزادة من ماء، يدافع عنها بصارمه الذكر، ويزينه المثقف ولواء الحمد يرفّ على رأسه، غير أنّ ما يحمله هو أنفس عنده من نفسه الكريمة، بلحاظ ما يريده من المحافظة على تلك المزادة الملأى. وراقه أن تكون هي الذخيرة الثمينة، مشفوعة بما هو أعظم عند الله تعالى، فسمح بيمينه وشماله ـ وكلتاهما يمن ـ أن تقطعا بعين الله، في كلاءة ما يتهالك دونه، لينال الأُمنيّة قبل المنيّة، وما خارت عزيمة العبّاس عليه السلام إلاّ حين أحبّ أن لو كانت المراقة نفسه لا القربة. فيا أبعد الله سهماً أسال ماءها، ولم يكن «سعد العشيرة» طالباً للحياة بعده لو لم يأته العمود الطائش، ألا لعنة الله على الظالمين. ومن أجل مجيئه بالماء إلى عيال أخيه وصحبه في الأيام العشرة سُمّي «السقا»)) (المقرم: ص١٦٣ ـ ١٦٤).

ويظهر أن ندرة المادة التاريخية حول نشأة أبي الفضل العباس عليه السلام دفعت بالسيد المقرم إلى طرح تصوراته عن كيفية نشأة أبي الفضل العباس في ظل أب كأمير المؤمنين عليه السلام، وأخوين كالحسن والحسين عليهما السلام، فضلا عن العقيلة زينب عليها السلام وهي العالمة غير المتعلمة، مما شكل مصدرا علميا وتربويا لأبي الفضل عليه السلام (المقرم: ص١٦٦ ـ ١٦٨)، واعتمد المقرم على نصوص في مصادر متأخرة تشير لعلمية أبي الفضل من صغره (النوري: ١٥/ ٢١٥) (المقرم: ص١٦٨ ـ ١٦٩)، لذا ((لم يكن أبو الفضل بِدْعَاً من أهل هذا البيت الطّاهر الذي حوى العلم المتدفّق منذ الصغر، كما شهد بذلك أعداؤهم)) (المقرم: ص١٧٢)، من هنا قال القايني: ((إنّ العبّاس من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت، بل إنّه عالم غير متعلّم، وليس في ذلك منافاة، لتعليم أبيه عليه السلام إياه)) (الكبريت الأحمر ٣/ ٤٥، نقلا عن: المقرم: ص١٧٣). ثم أشار المقرم رواية عن شيوخه إلى

رجل لم يسمه، إدعى أنه أفضل من العباس عليه السلام، ثم مالبث الرجل أن ذهب إلى مرقد أبي الفضل وربط نفسه بالضريح، ولما سألوه، أخبرهم أنه رأى في الرؤيا أبا الفضل غاضبا عليه، وقال له: ((أمّا أنا فقد درست عند أبي أمير المؤمنين وأخوي الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وأنا على يقين من ديني بما تلقّيته من مشيختي من الحقائق ونواميس الإسلاّم، وأنت شاكّ في دينك، شاك في إمامك، أليس الأمر هكذا؟ فلم يسعني إنكار ما يقوله. ثُمّ قال عليه السلام: وأمّا شيخك الذي قرأت عليه، وأخذت منه، فهو أتعس منك حالاً، وما عسى أن يكون عندك من أُصول وقواعد مضروبة للجاهل بالأحكام، يعمل بها إذا أعوزه الوصول إلى الواقع، وإنّي غير محتاج إليها، لمعرفتي بواقع الأحكام من مصدر الوحي الإلهي. ثُمّ قال عليه السلام: وفيّ نفسيات كريمة، وأخذ يعددها: من كرم، وصبر، ومواساة، وجهاد إلى غيرها، ولو قسّمت على جميعكم لما أمكنك حمل شيء منها. على أنّ فيك ملكات رذيلة من حسد، ومراء، ورياء، ثُمّ ضرب بيده الشريفة على فمّ الرجل، فانتبه فزعاً نادماً، معترفاً بالتقصير، ولم يجد منتدحاً إلاّ بالتوسل بهِ، والإنابة إليه، صلوات الله عليه وعلى آبائه)) (المقرم: ص١٧٤ ـ ١٧٦).

ثم انتقل السيد المقرم فجأة إلى أحداث كربلاء ليتحدث عن موقف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين قال فيهم: ((إنّي لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ وأوفى من أهل بيتي، وقد استلمتهم فما وجدت فيهم إلاّ الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني، استيناس الطفل إلى محالب أُمه)) (الطبري: ٤/ ٣١٧) (أبو الفرج الأصفهاني: ص٧٤) لكن السيد المقرم يستغرب من ((الرواة وحملة التاريخ إذا توسّعوا في النقل وقذفوا أُولئك الأُبـاة الصفوة، والغلب المصاليت، بما تندى منه وجه الإنسانية، ويأباه الوجدان الصادق، فقيل: «كان القوم بحالة ترتعد فرائصهم، وتتغيّر ألوانهم، كُلّما اشتدّ الحال، وضاق المجال، إلاّ الحسين فإنّ أسرّة وجهه تشرق كالبدر المنير» (المقرم: ص١٨٣) وذلك بعد أن أعوزتهم الوقعة في شهيد الإباء، فلم يجدوا للغمز فيه نصيباً، فمالوا على أصحابه وأهل بيته... وليس ذلك إلاّ من الداء الدفين بين أضالع قوم دافوا السمَّ في الدّسم، إلى سذج آخرين حسبوه حقيقة راهنة، فشوّهوا وجه التاريخ، غير أنّ البصير الناقد لا تخفى عليه نفسية القوم، ولا ما جاؤوا به. وأعجب من ذلك قول محفر ليزيد: «إنّا أحطنا بهم، وهم يلوذون عنّا بالآكام والحفر، لو اذ الحمام من الصقر (الطبري: ٤/ ٣٥١) (ابن أعثم: ٥/ ١٢٧) (ابـن عساكر: ١٨/ ٤٤٥) (ابن الأثـير: ٤/ ٨٣) (الـصـفـدي: ١٤: ١٢٧) (ابـن كثير: ٨: ٢٠٨) (المقرم: ص١٨٣ ـ ١٨٤). بفيك الكثك أيّها القائل، كأنّك لم تشاهد ذلك الموقف الرهيب، فترى ما للقوم من بسالة وإقـدام ومفادات دون الدين الحنيف، حتّى أغفل يومهم مع ابن المصطفى أيام صفّين وما شاكلها من حروب دامية، ووقائع هائلة، وحتّى أخذت أندية الكوفة لا تتحدّث إلاّ عن شجاعتهم. أجل، إنّ تلك الأهوال أدهشتك، فلم تدرِ ما تقول، أو إنّ الشقّة بعدت عليك فنسيت ما كان، ولكن هل غاب عن سمعك صراخ الأيامى، وعويل الأيتام

في دور الكوفة، حتّى طبق أرجاءها من جراء ما أوقعه أُولئك الصفوة بأعداء الله ورسوله، بسيوفهم الماضيّة. والعذر لك أنّك أدركت ساعة العافية، فطفقت تشوّه مقامهم المشكور، طلباً لمرضاة يزيد الخمور. ولقد صرّح عن صدق نيّاتهم وإخلاصهم في التضحية عدوهم الألدّ عمرو بن الحجّاج محرّضاً قومه: «أتدرون من تقاتلون؟! تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، تقاتلون قوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلاّ قتلوه، على قلتهم، والله لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم، فقال عمر بن سعد: قد صدقت الرأي، ما رأيت أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم، ولو خرجتم إليهم وحداناً لاتوا عليكم (الطبري: ٤/ ٣٣١) (المفيد: ٢/ ١٠٣) (ابن الأثير: ٤/ ٦٧) (المقرم: ص١٨٤ ـ ١٨٥). وقيل لرجل شهد يوم الطفّ مع عمر بن سعد: «ويحك أقتلتم ذرية رسول الله؟ فقال: عضضت بالجندل، إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأُسود الضارية، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين حياض المنيّة، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين لا أُم لك؟ (ابن أبي الحديد: ٣/ ٢٦٣) (المقرم: ص١٨٥) (النصر الله: ص٢٤٢).

وحينما جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه ليلة العاشر من المحرم، وأذن لهم جميعا بالإنصراف، ((هنا كان لعبّاس الشرف والحفاظ موقفه المشهود الذي أظهر فيه من قوّة الإيمان، وغزارة العلم، وعوامل الشهامة، ما أوقف جوالة الفكر، وحيرة نفاذة الحلم، حيث ابتدر الجماعة بقوله: «ولِمَ نفعل ذلك لا أبقانا الله بعدك»؟! (الطبري: ٤/ ٣١٧ ـ ٣١٨) (ابن الأثير: ٤/ ٥٧ ـ ٥٨) (المقرم: ص١٧٤ ـ ١٧٦) وتابعه الهاشميّون الصفوة والصحب الأكارم، متخذين قوله حقيقة راهنة، من معلم هذّبته المعرفة، وبصّرته التجارب، وإنّه لم يرد بقوله إلاّ التضحية الخالّصة، والسعادة الخالدة، فأجابوا بما انحنت عليه الأضالع من إيثار موتة العزّ دون سبط الرسول على حياة مخدجة بعده، وإن كانت محفوفة بنعومة من العيش.)) (المقرم: ١٨٩ ـ ١٩٠). وسرى هذا الكلام إلى باقي الآل والأصحاب. ثم كان الموقف البطولي حينما قدم الشمر بكتاب أمان لابي الفضل العباس وأخوته من ابن زياد، حيث رفض أبو الفضل وأخوته هذا الأمان، إذ ((قال له العبّاس: لعنك الله ولعن أمانك، تؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟! (البلاذري: ٣/ ١٨٤) (الطبري: ٤/ ٣١٥) (المفيد: ٢/ ٨٩) (ابن الجوزي: ٥/ ٣٣٧) (ابن الأثير: ٤/ ٥٦ ((المجلسي: ٤٤/ ٣٩١) (المقرم: ص١٩٣) وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء، فرجع الشمر مغضباً (ابن نما الحلي: ص٤١) (ابن طاووس: ص٥٤) (الأمين: ١١٦) ويقال أن زهير بن القين عندها تحدث إلى أبي الفضل عن أسباب زواج أبيه أمير المؤمنين عليه السلام من أمه أم البنين، لكي تلد له فارسا ينصر الحسين في هذا اليوم، فغضب العبّاس، وقال: «يا زهير، تشجّعني هذا اليوم، فوالله لارينّك شيئاً ما رأيته. (النقدي: ص ٤٤٤)

(الدربندي: ص ٢/ ٣٩٥) (المقرم: ص١٩٤ ـ ١٩٥) فجدل أبطالاً، ونكّس رايات في حالة لم يكن همّه من القتال، ولا منازلة الأبطال، بل كان همّه إيصال الماء إلى أطفال أخيه، ولكن لا مردّ للقضاء، ولا دافع للأجل المحتوم.)) (المقرم: ص١٩٢ ـ ١٩٥). ويقدم السيد المقرم تفسيرين للمواساة التي صدرت من أبي الفضل العباس يوم كربلاء فلم يشرب الماء يوم عاشوراء لما ملك المشرعة:

التفسير الأول: ((أنّ مفادات أبي الفضل ومواساته لم تكن لمحض الرحم الماسة والإخاء الواشج، ولا لأنّ الحسين عليه السلام سيّد أُسرته، وكبير قومه، وإن كان في كُلّ منها يمدح عليه هذا الناهض، لكنّها جمعاء كانت مندكة في جنّب ما أثاره «عباس البصيرة» من لزوم مواساة صاحب الدين، والتهالك دون دعوته، سواء كانت المفادات بعين المشرع سبحانه، أو تحت راية الرسول صلى الله عليه وآله، أو إمام الوقت، وكُلّ بعين الله وعن مرضاته جلّ شأنه، وقد اجتمعت في مشهد الطفّ تحت راية الحسين عليه السلام. إنّ من الواجب إمعان النظر في عمله الناصع حين ملك الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب، ولكن الزمه حقّ اليقين، وقوّة الإيمان أن ينفض الماء من يده، حيث لم يَر له مساغاً في التأخير عن سقاية حجّة الوقت الإمام المعصوم، وحرم النبوّة، ولو بمقدار التروي من الماء هنيئة، بل عرف أنّ الواجب عليه الإبقاء على مهجة خليفة الرسول بسقايته ولو في أن يسير، إذ الحالة شرع سواء بين قليل الزمان وكثيره، ولذلك نسب فعله هذا إلى الدين حيث يقول: «تالله ما هذا فعال ديني». (المقرم: ص١٩٩ ـ ٢٠٠).

التفسير الثاني: يعود لوصية أمير المؤمنين عليه السلام إياه: ((أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دعا العبّاس وضمّه إليه، وقبّل عينيه، وأخذ عليه العهد إذا ملك الماء يوم الطفّ أن لا يذوق منه قطرة وأُخوه الحسين عطشان. فقول أرباب المقاتل: نفضَ الماء من يده ولم يشرب إنّما هو لأجل الوصيّة من أبيه المرتضى)) (الحلي: ص ١/ ١٠٠، نقلا عن المقرم: ص٢٠٠ ـ ٢٠١). ولعل في هذا التفسير إساءة إلى مقام أبي الفضل عليه السلام.

وتحت عنوان عثرة التاريخ يقف السيد المقرم عند دعوى المؤرخين أن العباس قدم أخوته يوم كربلاء ليحوز إرثهم بعد استشهادهم، بدعوى أنهم لا وارث لهم (الطبري: ص٤/ ٣٤٢) (ابن الأثير: ص٤/ ٧٦)، وقد نقض السيد المقرم ذلك بالأدلة الاتية:

أولا: وما أدري كيف خفي عليهما حيازة العبّاس ميراث أُخوته مع وجود أُمهم أُم البنين، وهي من الطبقة المتقدّمة على الأخ، ولم يجهل العبّاس شريعة تربّى في خلالها؟!

ثانيا: على أنّ هذه الكلمة لا تصدر من أدنى الناس، سيّما في ذلك الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله، فأيّ شخص كان يدور في خُلدهِ ذلك اليوم حيازة المواريث بتعريض ذويه وأخوته للقتل؟! وعلى الأخصّ يصدر ذلك من رجل يعلم أنّه لا يبقى بعدهم ولا يتهنّأ بهالهم، بل يكون فعله لمحض أن تتمتّع به أولاده. بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يلوثّوا بها ساحة ذلك السيّد الكريم. فهل ترغب أنت أن يقال لك: عرضت أُخوتك وبني أُمك لحومة الوغى لتحوز مواريثهم؟! أم أنّ هذا من الدناءة

والخسّة، فلا ترضاه لنفسك، كما لا يرغب به سوقة الناس وأدناهم، فكيف ترضى أيّها المنصف ذلك لمن علّم الناس الشهامة وكرم الأخلاق، وواسى حجّة وقته بنفسه الزاكية؟! وكيف ينسب هذا لخرّيج تلك الجامعة العُظمى، والمدرسة الكبرى، جامعة النبّوة، ومدرسة الإمامة، وتربّى بحجر أبيه، وأخذ المعارف منه ومن أخويه الامامين؟! (المقرم: ص٢٠٣ ـ ٢٠٤).

ثالثا: وهناك مانع آخر من ميراث العبّاس لهم وحده، حتّى لو قلنا على بعد ومنع بوفاة أُم البنين يوم الطف، فإنّ ولد العبّاس لم يكن هو الحائز لمواريثهم، لوجود الأطراف وعبيد الله بن النهشلية، فإنهّا يشتركان مع العبّاس في الميراث، كما يشاركهم سيّد شباب أهل الجنّة، وزينب العقيلة، وأم كلثوم، ورقية، وغيرهنّ من بنات أمير المؤمنين، فكيف والحال هذا يختصّ العبّاس بالميراث وحده؟! هذا كُلّه إن قلنا بوفاة أُم البنّين يوم الطف، ولكن التاريخ يثبت حياتها يومئذ وأنّها بقيت بالمدينة، وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة. (المقرم: ص٢٠٦)

ويرى السيد المقرم أن العلة في تقديمهم من قبل أبي الفضل عليه السلام:

أولا: ولو تأمّلنا جيداً في تقديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه، وغاية مفاداته عن أخيه السبط، فلذة كبد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومهجة البتول، فإنّ من الواضح البيّن أنّ غرضه من تقديمهم للقتل:

١. إمّا لأجل أن يشتدّ حزنه، ويعظم صبره، ويرزأ بهم، ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة، إذ لا ولد لهم يطالبون بهم.

٢. وإمّا لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفادات دون الدين، أمام سيّد الشهداء، ويشهد له ما ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن نما في مثير الأحزان من قوله لهم: «تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، فإنّه لا ولد لكم» (المفيد: ص ٢/ ٢٠٩) (ابن نما: ص ٥٠) (الأمين: ١٧٨)، ولم يقصد بهم المخايل، وإنّما رام أبو الفضل أن يتعرّف مقدار ولائهم لقتيل العبرة. وهذا منه عليه السلام إرفاق بهم، وحنان عليهم، وأداء لحقّ الأُخوة بإرشادهم إلى ما هو الأصلح لهم.

٣. وإمّا لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه، والتجهيز للجهاد بتقديم أُخوته ليثاب أيضاً بأجر الصابرين، ويحوز كلتا السعادتين، وربما يدلّ عليه ما ذكره أبو الفرج في مقتل عبدالله من قول العبّاس له: «تقدّم بين يدي حتّى أراك قتيلاً واحتسبك، فكان أول من قتل من أُخوته». وذكر أبو حنيفة الدينوري (ص٢٥٧). أنّ العبّاس قال لأُخوته: «تقدموا بنفسي أنتم وحاموا عن سيّدكم حتّى تموتوا دونه، فتقّدموا جميعاً وقتلوا». ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حيازة مواريثهم ـ وحاشاه ـ لم يكن لاحتساب أخيه عبدالله معنى، كما لا معنى لتفديتهم بنفسه الكريمة كما في الأخبار الطوال. والذي أظنّه أن منشأ ذلك التقوّل على العبّاس أنّه أوقفهم السير على قوله لأخوته: «لا ولد لكم»، من غير رويّة وتفكير في غرضه ومراده، فحسبوه أنّه يريد الميراث، فنّوه به واحد باجتهاده أو احتماله، وحسبه الآخرون رواية،

فشوّهوا به وجه التاريخ، ولم يفهموا المراد، ولا أصابوا شاكلة الغرض، فإنّ غرضه من قوله: «لا ولد لكم» تراقبون حاله بعدكم، فأسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان. على أنّ شيخنا العلاّمة الشيخ عبد الحسين الحلّي في النقد النزيه ج١ ص٩٩ احتمل تصحيف (إرثكم) من (أُرزأ بكم) أو (أرزأكم)، وليس هذا ببعيد. وأقرب منه احتمال شيخنا الحجّة الشيخ آغا بزرك مؤلّف كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) تصحيف (إرثكم) من (أرثيكم)، فكأنّه عليه السلام أراد أولاً: أن يفوز بالإرشاد إلى ناحية الحقّ، وثانياً: تجهيز المجاهدين، وثالثاً: البكاء عليهم ورثائهم، فإنّه محبوب للمولى تعالى. ويشبه قول العبّاس لأُخوته قول عابس بن أبي شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكر: «يا شوذب ما في نفسك أنّ تصنع؟ قال: أُقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتّى أُقتل! فقال: ذلك الظنّ بك، فتقدّم بين يدي أبي عبدالله حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتّى احتسبك أنا، فإنّه لو كان معي الساعة أحدُ أنا أولى به منك لسرّني أن يتقدّم بين يدي حتّى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكُلِّ ما قدرنا عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم، وإنّما هو الحساب)) (الطبري: ٤/ ٣٣٨) (المقرم: ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.).

وأفرد السيد المقرم عنوانا عن مكانة أبي الفضل عليه السلام عند الأئمة عليهم السلام، فقد كان العباس ذو مكانة عظيمة عند الإمام الحسين عليه السلام فهو حامل لوائه، وكان الإمام يكلفه بالمهمات الصعبة، فقد قال له: ((أركب بنفسي أنت يا أخي)) (البلاذري: ٣/ ١٨٤) (الطبري: ٤/ ٣١٥) (المفيد: ٢/ ٩٠)، ودعاه للذهاب للقوم ليستخبرهم الحال. إن الفكر الفكر يسف عن مدى هذه الكلمة، وأنّى له أن يحلق إلى ذروة الحقيقة من ذات مطهّرة تفتدى بنفس الإمام، علّة الكائنات، وهو الصادر الأوّل، والممكن الأشرف، والفيض الأقدّس للممكنات: « بكم فتح الله وبكم يختم». نعم، عرفها البصير الناقد بعد أن جرّبها بمحكّ النزاهة، فوجدها غير مشوبة بغير جنسها، ثُمّ أطلق تلك الكلمة الذهبية الثمينة (ولا يعرف الفضل إلاّ أهله) (المقرم: ص٢٢٨ ـ ٢٢٩).

وهنا ظاهرة أُخرى دلّت على منزلة كُبرى للعبّاس عند سيّد الشهداء، ذلك أنّ الإمام الشهيد لمّا اجتمع بعمر ابن سعد ليلاً وسط العسكرين؛ لإرشاده إلى سبيل الحقّ، وتعريفه طغيان ابن ميسون، وتذكيره بقول الرسول في حقّه؛ أمر عليه السلام من كان معه بالتنحّي إلاّ العبّاس وابنه علياً، وهكذا صنع ابن سعد، فبقي معه ابنه وغلامه. فيظهر جليا أنّ ميّزة أبي الفضل على الصحب الأكارم، وسروات المجد من آل الرسول الذين شهد لهم الحسين باليقين والصدق في النيّة والوفاء، غير أنّه عليه السلام أراد أن يوعز إلى الملأ من بعده ما لأبي الفضل وعلي الأكبر من الصفات التي لا تحدها العقول (المقرم: ص٢٢٩ ـ ٢٣٠).

ومن هذا الباب لمّا خطب يوم العاشر، وعلا صراخ النساء وعويل الأطفال حتّى كان بمسامع الحسين، وهو ماثل أمام العسكر، أمر أخاه العبّاس أن يسكتهنّ، حذار شماتة القوم إذا سمعوا ذلك العويل، وغيرة على نواميس حرم النبوّة أن يسمع أصواتهنّ الأجانب (المقرم: ص٢٣٠). ولو أردنا تحليلاً لتأخّر شهادة العبّاس عن جميع الشهداء، وهو حامل تلك

النفس النزاعة إلى المفادات والتهلكة دون الدين، فلا يمكنه حينئذ التأخر آناً ما، فكيف بطيلة تلك المدّة، وبمرأى منه مصارع آل الله، ونشيج الفواطم، وإقبال الشرّ من جميع نواحيه، واضطهاد حجّة الوقت، بما يراه من المناظر الشبحية؛ والواحدة من ذلك لا تترك (لحامل اللواء) مساغاً عن أخذ التراث آناً ما. لكن أهميّة موقفه عند أخيه السبط هو الذي أرجأ تأخيره عن الإقدام، فإنّ سيّد الشهداء يعدّ بقاءه من ذخائر الإمامة، وأنّ موتته تفتّ في العضد فيقول له: «إذا مضيتَ تفرّق عسكري»، حتّى إنّه في الساعة الأخيرة لم يأذن له إلاّ بعد أخذ وردّ (المقرم: ص٢٣٠ ـ ٢٣١).

وإنّ حديث (الإيقاد) لسيّدنا المتتبّع الحجّة السيّد محمّد علي الشاه عبد العظيم (قدس سره) يوقفنا على مرتبة تضاهي مرتبة المعصومين، ذلك لمّا حضر السجّادعليه السلام لدفن الأجساد الطاهرة ترك مساغاً لبني أسد في نقل الجثث الزواكي إلى محلّها الأخير، عدى جسد الحسين وجثّة عمّه العبّاس، فتولّى وحده إنزالهما إلى مقرّهما، أو إصعادهما إلى حضيرة القدّس وقال: «إن معي من يعينني». أما الإمام فالأمر فيه واضح؛ لأنّه لا يلي أمره إلاّ إمام مثله، ولكن الأمر الذي لا نكاد نصل إلى حقيقته وكنهه، فعله بعمّه الصدّيق الشهيد مثل ما فعل بأبيه الوصيّ، وليس ذلك إلاّ لأنّ ذلك الهيكل المطهّر لا يمسّه إلاّ ذوات طاهرة، في ساعة هي أقرب حالاته إلى المولى سبحانه، ولا يدنو منه مَن ليس من أهل ذلك المحلّ الأرفع (المقرم: ص٢٣١).

أما الإمام زين العابدينعليه السلام فقال فيه: ((رحم الله عمّي العبّاس بن علي، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتّى قُطعت يداه، فأبدله الله عزّوجلّ جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، إنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة)) (الصدوق: ص٥٤٨) (الخصال ص٦٨) (النقدي: ص٤٤٢). فلهذه الغايات الثمينة، والمراتب العُليا كان أهل البيتعليهم السلام يدخلونه في أعالي أُمورهم ما لا يتدخّل فيه إنسان عادي، فمن ذلك مشاطرته الحسينعليه السلام في غسل الحسنعليه السلام، لكننا عند مراجعة المصادر وجدنا الإمام الحسين عليه غسل أخيه الإمام الحسن ومعه أخوته محمد بن الحنفية والعباس وغيرهم، ولم ينفرد أبو الفضل بذلك (الدولابي: ص١٢٠) (الإربلي: ٢/ ١٧١) (محب الدين الطبري: ١٤١).

وكان الإمام الصادقعليه السلام يقول: ((كان عمّنا العبّاس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبدالله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً)) (البخاري: ص٨٩، ابن عنبة: ص٣٥٦). وجاء في الزيارة المنسوبة للإمام الصادقعليه السلام: ((سلام الله، وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصدّيقين، الزاكيات الطيّبات، فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين)) (ابن قولويه: ص٤٤٠) (الطوسي: ص٧٢٤) (الفيض الكاشاني: ١٤/ ١٥١٠). وبنفس هذه الالفاظ خاطب الإمام الحسينعليه السلام أيضا (المفيد: ص١٢٨) (الطوسي: ص٧٢٨)، وقالعليه السلام أيضا: ((أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النّبي المرسل)) (ابن قولويه: ص٤٤٠) (المجلسي: ٩٧/ ٤٢٦)، هاهنا ثبت لأبي الفضل

منزلة التسليم التي هي أقدس منازل السالكين، وفوق مرتبة الرضا والتوكّل، فإنّ أقصى مرتبة الرضا أن يكون محبوب المولى سبحانه محبوباً له، موافقاً لطبعه، فالطبع ملحوظ فيه. وأقصى مراتب التوكّل أن ينزل نفسه بين يدي المولى سبحانه وتعالى منزلة الميت بين يدي الغاسل، بحيث لا إرادة له إلاّ ما يفعله الغاسل به، فصاحب التوكّل مسلوب الإرادة، وأمّا صاحب التسليم فلا يرى لغير الله وجوداً مع الله فضلاً عن نفسه، ولا يكون له طبع يوافق أو يخالف في الإرادة، أو نفساً قد تنفّست بالإرادة، فهو قريب من عالم الفناء (المقرم: ص٢١١).

وشبه الإمام الصادق عليه السلام أبا الفضل بالبدريين، وهذا التشبيه جرى مجرى التقريب إلى الأذهان، في الإشادة بموقف أبي الفضل من البصيرة، فإنّ أهل بدر أظهر أفراد أهل البصائر؛ لأنّهم قابلوا طواغيت قريش على حين ضعف في المسلمين، وقلّة في العدّة والعتاد، فلم يملكوا إلاّ فرسين أحدهما: لمرثد بن أبي مرثد الغنوي، والآخر: للمقداد بن الأسود الكندي، وكانوا يتعاقبون على سبعين بعير، الاثنان والثلاثة (ابن سعد: ٢/ ١٢) (الصالحي: ٤/ ٢٤) (المقرم: ص٢١٣ ـ ٢١٤) لكنّهم خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوّة، بقوّة الإيمان، وعتاد البصيرة، إلاّ من استولى الرين على قلبه، فردّوا سيوف قريش مفلولة، ورماحهم محطّمة، وجموعهم بين قتلى وأسرى ومشرّدين، فحظوا بأوّل فتح إسلامي، قويت به دعائمه وشيّدت معالمه من الإمداد ﴿بِخَمْسَةِ آلاف مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٢٥) وأعظم من ذلك مشهد الطفّ الذي التطمت فيه أمواج الموت، وكشفت الحرب عن ساقها، وكشفت عن نابها. كما أنّ الباحث إذا أعطى النظر حقّه يجد ضحايا (الطفّ) أشدّ انقطاعاً عن المدّد من مجاهدي يوم بدر، وأبلغ بأساً، وأقلّ عدداً، مع اكتناف الكوارث بهم، واعواز الملجأ أكثر ممّا احتفّ بأهل بدر. مع أنّ المناوئين لشهداء (الطفّ) أوفر عدداً، وأقوى عتاداً، وأوثق مدداً. وإنّ لهم دولة مؤسسة، تنضّددت جحافلها، وخفقت بنودها، وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر. فلقد كان المحاربون للمسلمين شتات، من طواغيت العرب، حداهم إلى الحرب بواعث الحقد والنخوة، ومن المحتمل القريب انحلال جامعتهم إذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنّهم كانوا يفقدون أيّ مدد من القبائل، ولم يخرجوا متأهّبين للاستمداد، حيث ظنّوا خوراً في المسلمين، وحسبوا استئصال شأفتهم وأنّهم كشربة ماء (ولكن لا مبدّل لحكم الله تعالى). فالموقف يوم الطفّ أحرج، والكرب أكثر، والمقاسات أصعب، وبقدر المشقّة تجري الأُجور، وتقسم الفضائل، فشهداء كربلاء أولى بالفضيلة. وضَرب الإمام عليه السلام المثل لهم بأهل بدر إذ يقول: «إنّك مضيت على ما مضى به البدريون» لا يوجب فضيلة أهل بدر عليهم، كما هي قاعدة التشبيه، وإنّما ذلك من باب التقريب إلى الأفهام، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾ (سورة النور: الآية ٣٥) وأين من النور الإلهي المشكاة ومصباحها، ولكن لمّا لم تدرك الأبصار ذلك النور الأقدس، وإنّما تُدركه البصائر، ضرب الله تعالى المثل بما يدركونه؛ تقريباً للأذهان، وهكذا الحال فيما نحن فيه. وإلى هذه الدقيقة وقع الإيعاز منه عليه السلام

فيما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله عليه السلام: «فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء أحد ممّن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره) المقرم: ص٢١٣ ـ ٢١٧). فلو كان في المجاهدين من هو أوفر فضلاً من أبي الفضل العبّاس لكان هذا الدعاء، أو الإخبار عن أمره شططاً من القول، خارجاً عن ميزان العدل، تعالى عنه كلام المعصوم، فإذن لم يكن غيره من المجاهدين مطلقاً أوفر فضلاً، ولا أكثر جزاءً، ولا أوفى بيعة إلاّ من أخرجه الدليل من الأئمة المعصومين (المقرم: ص٢١٧ ـ ٢١٨).

قال السيد المقرم: ولم تزل هذه العظمة محفوظة له عند أهل البيت دنياً وآخرة، حتّى إنّ الصديقة الزهراء عليها السلام لا تبتدأ بالشكاية بأيّ ظلامة من ظلامات آل محمّد ـ وهي لا تُحصى ـ إلاّ بكفّي أبي الفضل المقطوعتين، كما في الأسرار ص٣٢٥، وجواهر الإيقان ص١٩٤، وقد ادخرتهما من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس لربِّ العالمّين (المقرم: ص٢٣٢).

إن القول بأن السيدة فاطمة عليها السلام هي أول من تتقدم بشكوى يوم القيمة (ينظر: النصر الله: ص٦٣) (العواد: ص٣٧٩ ـ ٣٨٥)، مما لا شك فيه، ولكن أن تكون شكواها بخصوص كفي أبي الفضل عليه السلام، فهذا يحتاج إلى إثبات والمصادر لا تدعم ذلك فهي فكرة ظهرت في المصادر المتأخرة.

من هنا يرى السيد المقرم أن أبا الفضل معصومٌ، ((وهذه النظرية في أبي الفضل لم ينكرها عالم من علماء الشيعة، نعرفه بالثقافة العلميّة، والتقدّم بالأفكار الناضجة، وقد استضأنا من أُرجوزة آية الله الحجّة الشيخ محمّد حسين الأصفهاني (رحمه الله) التي ستقرأها في فصل المديح حقائق راهنة، وكرائم نفيسة، سمت بأبي الفضل إلى أوج العظمة، وأخذت به إلى حظائر القدس، وصعدت به إلى أعلى مرتبة من العصمّة. وممّا يزيدنا بصيرة في عصمته ما ذكرناه سابقاً في شرح قول الصادق: « لعن الله أُمة استحلّت منك المحارم وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام». فإنّ حُرمة الإسلام لا تنتهك بقتل أي مسلم مهما كان عظيماً، ومهما كان أثره في الإسلام مشكوراً، إلاّ أن يكون هو الإمام المعصوم، فلو لم يبلغ العبّاس المراتب السماوية في العلم والعمل لمقام أهل البيت لما استحقّ هذا الخطاب، وهذا معنى العصمة. نعم، هي غير واجبة، وممّا يستأنس منه العصمة له ما تقدّم من قول السجّاد عليه السلام: «وإنّ لعمّي العبّاس منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة (الصدوق: ص٥٤٨) (القمي: ص٦٨) (المجلسي: ٢٢/ ٢٧٤) (المقرم: ص٢٣٦ ـ ٢٣٨).

ويدخل في عموم لفظ الشهداء صريحة بيت الوحي «أبو الحسن علي الأكبر» الذي أفضنا القول في عصمّته. وإذا كان العبّاس غير معصوم كيف يغبطه المعصوم على ما أُعطي من رفعة ومقام عالٍ؟ لأنّ المعصوم لا يغبط غيره، فلا بدّ أن للعبّاس أعلى مرتبة من العصمة كما عرفت، ومن هنا غبط منزلته التي أعدت له جميع الشهداء، حتّى من كان معصوماً كعلي الأكبر وأمثاله، غير الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين (المقرم: ص٢٣٨).

ثم أسهب الحديث عن كرامات أبي الفضل عليه السلام

وقعت في القرن الرابع عشر الهجري، ومن مصادر متأخرة (المقرم: ص٢٣٩ ـ ٢٦١). ليعود بعد ذلك ليتحدث عن اللواء وهي الراية التي تحمل في الحرب، وقد أسهب في دراسة تاريخ اللواء سواء عند المسلمين أو غيرهم حتى العصور العباسية (المقرم: ص٢٦٢ ـ ٢٧٢)، فكان ذوو ألويات يحرصون على رفعها، لكونها معقد الجيش، وبها يتمّ نظامهم، وتتطامن نفوسهم، ولم ينكسر الجيش إلاّ بقتل صاحب الراية وسقوطها. ومن هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة، وموقفه من الشهامة، ومحلّه من الشرف، ومبوءه من الدّين، ومنزلته من الغيرة، ومرتقاه من السؤدد، يوم عبّأ الحسين أصحابه، فأعطى رايته أخاه «العبّاس»، مع أنّ للعبّاس أُخوة من أُمّه وأبيه، وهناك من أولاد أبيه من لا يسلم اللواء، كما أنّ في الأصحاب من هو أكبر سنّاً منه، مع صدق المفادات، ولكن سيّد الشهداء وجد أخاه أبا الفضل أكفى ممّن معه لحملها، وحفظهم لذمامه، وأرأفهم به، وإدعاهم، إلى مبدئه، وأوصلهم لرحمه، وأحماهم لجواره، وأثبتهم للطعان، وأربطهم جأشاً، وأشدّهم مراساً. فكان «صاحب الراية» عند معتقد أخيه الإمام ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب ثبات الأسد الخادر، وهذا بيان مطرد تلهج به الألسن، وإلاّ فما موقف الأسد منه! ومن أين له طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت فيما يفر عنه الضرغام. نعم، أنسب تشبيه يليق بمقامه أنّه كان يصول ومعه صولة أبيه المرتضى. فضلا عن ذلك فإن للعبّاس مزيّة على من حمل اللواء، وبارز الأبطال، وتقدّم للطعان، فإنّه عليه السلام قد ألمّت به الكوارث والمحن من نواحي متعدّدة: من جروح، وعطش، وفئة صرعى، وحرائر ولهى، وأطفال أمضّ بها الظما، والواحدة منها كافية في أن تهدي إلى البطل ضعفاً، وإلى الباسل فراراً، لكن صريخة بني هاشم بالرغم من كُلّ هاتيك الرزايا كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه، وصارم من عزمه، وكان في حدّ حسامه الأجل المتاح، وملك الموت طوع يمينه، إذن فليس من الغريب إذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول (المقرم: ص٢٧٣ ـ ٢٧٤).

ثم عاد ليتحدث عن موقف العباس عليه السلام قبل يوم كربلاء، مبينا مشاركته مع الإمام الحسين عليه السلام في صفين بإزاحة جيش معاوية عن ماء الفرات، اعتمادا على كتاب الكبريت الأحمر (نخبة من الرواة: ٣/ ٢٤، نقلا عن: المقرم: ص٢٧٥)، وكذلك مشاركته في صفين مبارزة وله من العمر (١٧) سنة (الخوارزمي: ص٢٢٧ ـ ٢٢٨، ٢٣١)، منكرا على الشيخ النوري استبعاده ذلك، بقوله: ((أنّ هناك واقعتين جرتا لأمير المؤمنين عليه السلام مع ولده العبّاس ومع العبّاس بن الحارث. فانكار شيخنا الجليل المحدّث النوري في حضور العبّاس في صفّين، مدّعياً اشتباه الأمر على بعض الرواة بالعبّاس بن الحارث في غير محلّه، فإنّ الحجّة على تفنيد الخبر غير تامّة؛ لأنّ آحاد هذا البيت ورجالاتهم قد فاقواالكُلّ في الفضائل جميعها، وجاؤوا بالخوارق في جميع المراتب، فليس من البدع إذا صدر من أحدهم ما يمتنع مثله عن الشجعان، وإن لم يبلغوا مبالغ الرجال)) (المقرم: ص٢٧٧ ـ ٢٧٨). ثم أشار لموقفه عند تشييع جنازة الإمام الحسن عليه السلام ورفض مروان ومن ورائه دفنه الحسن عليه السلام عند جده (المقرم: ص٢٧٩ ـ ٢٨٠).

ثم أفاض الحديث عن موقفه يوم الطف، متحدثا عن شجاعته ومواقفه ومنها، أولا: يوم السابع من المحرم حيث أرسله الإمام الحسين عليه السلام لجلب الماء من الفرات، ورغم سيطرة الجيش الأموي على الماء فقد تمكن أبو الفضل بمن معه من الفرسان بجلب الماء إلى الآل والأصحاب سالمين. ومن هنا سمي يوم السابع بيوم العباس عليه السلام. (المقرم: العباس عليه السلام ص٢٧٩ ـ ٢٨٠. وينظر: الطبري: تاريخ ٤/ ٣١٢). ثانيا: إنّ عمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، وجابر بن الحارث السلماني، ومجمع بن عبد الله العائذي شدّوا جميعاً على العدو، فلمّا أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كُلّ جانب، وقطعوهم عن أصحابهم، فندب إليهم الحسين أخاه العبّاس، فاستنقذهم بسيفه، وقد جرحوا بأجمعهم (الطبري: ص٣ ٤/ ٣٤٠) (المقرم: ص٢٨٨).

ثالثا: محاولته جلب الماء للعائلة بعد استشهاد الجميع ولم يبق مع الإمام الحسين سواه، وقد تمكن ببطولة منقطعة النظير من جلب الماء بمفرده، لكن الجيش الأموي تكالب عليه وتمكن أولا من إراقة الماء، ثم استخدام عدة طرق أدت إلى استشهاده على نهر العلقمي. الذي طرح أكثر من رأي في سبب تسمية النهر بالعلقمي. وقد غلب الأسلوب الأدبي والمقاتل(المقرم: ص٢٨٩ ـ ٢٩٤).

ثم انتقل للحديث عن المشهد المطهر للعباس عليه السلام وتطور عمارته عبر العصور، فبدأ يشير المقرم أن الإمام الحسين عليه السلام كان يأمر فتيانه وأصحابه بحمل من يقتل إلى الخيمة، ولكنه ترك العباس في مكانه، ويرى المقرم أن ذلك لا لكثرة الجروح وتقطع الأوصال، فلم يقدر على حمله، لأنّ في وسع الإمام أن يحرّك ذلك الشلو المبضع إلى حيث أراد ومتى شاء. وإلاّ لِما قيل: من أنّ العبّاس أقسم عليه بجدّه الرسول أن يتركه في مكانه؛ لأنّه وعد سكينة بالماء ويستحي منها؛ لعدم الشاهد الواضح على كُلٍّ منهما. بل إنّما تركه لسرّ دقيق، ونكتة لا تخفى على المتأمّل ومن له ذوق سليم، ولولاه لم يعجز الإمام عن حمله مهما يكن الحال، وقد كشفت الأيام عن ذلك السرّ المصون وهو: أن يكون له مشهد يقصد بالحوائج والزيارات، وبقعة يزدلف إليها الناس، وتتزلّف إلى المولى سبحانه تحت قبته التي تحك السماء رفعة وسناء، فتظهر هنالك الكرامات الباهرة، وتعرف الأُمة مكانته السامية ومنزلته عند الله، فتقدّره حقّ قدره، وتؤدّي ما وجب عليهم من الحبّ المتأكّد، والزورة المتواصلة، ويكون عليه السلام حلقة الوصل بينهم وبين الله تعالى، وسبب الزلفى لديه. فشاء المهيمن تعالى شأنه وشاء وليه وحجّته أن تكون منزلة أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الآخروية، فكان كما شاء وأحبا. ولو حمله سيّد الشهداء إلى حيث مجتمع الشهداء في الحائر الأقدس لغمره فضل الإمام الحجّة عليه السلام، ولم تظهر له هذه المنزلة التي ضاهت منزلة الحجّج الطاهرين، خصوصاً بعد ما أكّد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بإفراد زيارة مختصّة به، وإذناً بالدخول إلى حرمه الأطهر، كما شرع ذلك لأئمة الهدى غير ما يزار به جميع الشهداء بلفظ واحد، وليس هو إلاّ لمزايا اختصّت به (المقرم: ص٢٩٦ ـ ٢٩٧).

وقد حضي مشهد أبي الفضل العباس بالإهتمام من قبل المؤمنين والميسورين والحكام، كالشاه

طهماسب سنة ١٠٣٢هـ، ونادر شاه سنة ١١٥٥هـ، والشاه فتح علي جدد بناؤه بعد تدميره من قبل الوهابيين، والسيد المرتضى سادن الروضة العباسية المقدسة. (المقرم: ص٣٨٦ ـ ٣٩٢) فضلا عن ذلك أشار لوجود مشهد آخر في مقبرة باب الصغير في دمشق وضع على بابه صخرة مكتوب عليها ((هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي الأكبر بن الحسين ورأس حبيب بن مظاهر... ثُمّ إنّه انهدم بعد ذلك بسنين هذا المشهد، وأُعيد بناؤه، وأُزيلت هذه الصخرة، وبُني ضريح داخل المشهد، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكن الحقيقة أنّه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدّم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مرّ، وهذا المشهد الظنّ القوي بصحة نسبته، لأنّ الرؤوس بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إشهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفّي، لابدّ أن تدفن في إحدى المقابر، فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير، وحفظ محلّ دفنها))، (الأمين: ص ١/ ٦٢٧، المقرم: ص٣٣٢ ـ ٣٣٣) لكن السيد المقرم يرى أن ذلك المكان هو مكان صلب الرؤوس، أما الرؤوس فيرى أن يزيد لما نقم عليه الناس وكثر الاضطراب لم ير بدا من موافقة الإمام السجادعليه السلام على كل ما يريد واخراجهم من الشام عاجلا، وسلمه جميع رؤوس الآل والأصحاب فألحقها بالأجساد في العشرين من صفر سنة ٦١هـ. (المقرم: ص٣٣٣) وأشار كذلك لوجود مشهد الكفين الأول مقام الكف الأيمن في جهة الشمال الشرقي على حد محلة باب بغداد ومحلة باب الخان قريبا من باب الصحن، والثاني مقام الكف الأيسر في السوق الصغير القريب من الباب الصغير للصحن الواقعة في الجنوب الشرقي ويعرف بسوق باب العباس الصغير (المقرم: ص٣٣٤ ـ ٣٣٦).

ثم أسهب في الحديث عن زيارة أبي الفضلعليه السلام وآداب زيارته، والهدف منها وما روي عن ائمة الهدى في ذلك (المقرم: ص٣٣٧ ـ ٣٤١)، والصلاة بعد الزيارة (المقرم: ص٣٤٢ ـ ٣٤٧) ومدى مشروعية تقبيل القبر (المقرم: ص٣٤٨ ـ ٣٤٩). ويشير ان بعض العارفين يقدمون زيارة ابي الفضل على الامام الحسينعليه السلام لأنه بابه في الحوائج (المقرم: ص٣٤١).

ثم انتقل للحديث عن أولاد أبي الفضل العباسعليه السلام وأحفاده، فكان له من الأولاد خمسة عبيد الله والفضل والحسن والقاسم وابنتان، وزوجته لبابة بنت عبيد الله بن العباس، وانحصر عقب أبي الفضل بولده عبيد الله، ثم ذكر عددا من أحفاد أبي الفضل الذين تميزوا بالعلم والفصاحة، كالحمزة بن الحسن بن عبيد اله الذي كان يشبه أمير المؤمنينعليه السلام ايام المأمون، والحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله الذي كان من كبار علماء أهل البيت في زمانه، ومشهده موجود الآن في قرية الحمزة بالقرب من الحلة. (المقرم: ص٣٥٠ ـ ٣٧٠) وختم كلامه بالحديث عن ما أشيع وعرف بين الناس عن أبي الفضلعليه السلام أنه حامي الجوار (المقرم: ص٣٩٣ ـ ٣٩٤)، ثم ما قيل فيه من مدح ورثاء شعرا عبر العصور (المقرم: ص٣٩٥ ـ ٤٢٥).

الهوامش

(*) هو السيد عبد الرزاق بن السيد محمد بن السيد عباس المقرم الموسوي، خطيب وفقيه ومجتهد ومؤلف في مختلف العلوم الإسلامية، ولد في النجف الأشرف سنة ١٣١٦هـ، تتلمذ على يد الشيخ النائيني والعراقي والاصفهاني وأبو الحسن وكاشف الغطاء ومحسن الحكيم وحسين الحلي والخوئي. كان شاعرا وله كتاب نوادر الآثار ضم الكثير من شعره، ومن مؤلفاته مقتل الامام الحسين والصديقة فاطمة وزين العابدين والامام الرضا والامام الجواد والسيدة سكينة وعلي الاكبر ومسلم، وقمر بني هاشم، والعباس بن علي عليهم السلام ويوم الاربعين وزيد الشهيد وتنزيه المختار الثقفي وميثم التمار وسر الايمان في الشهادة الثالثة في الاذان . توفي في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٩١م ودفن في داره. ينظر مقدمة السيد محمد حسين بن السيد عبد الرزاق المقرم: مقتل الحسين عليه السلام، بيروت، ١٣٩٩هـ. نقلا عن: **arabic.al-shia.org**

(**) لابن عمه، وليس ابن أخيه.

(***) (البلاذري: أنساب الأشراف ٢/ ١٩٢، ابن أبي الدنيا: مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، مجلة تراثنا، العدد الثالث، السنة الثالثة، ١٤٠٨هـ ج١٢ ص١٣٠، أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص٥٥، ابن سيده: المخصص ج٤ق١ السفر الثالث عشر ص١٧٤، الطبرسي: إعلام الورى ١/ ٣٩٥، ابن إدريس: السرائر ١/ ٦٥٦).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ـ ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن علي بن محمد ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م.

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحا، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.

٢. الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

ـ ابن إدريس: أبو جعفر محمد بن منصور ت٥٩٨هـ.

٣. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠هـ.

ـ الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى ت ٦٩٣ هـ.

٤. كشف الغمة في معرفة الائمة، مط النجف، ١٣٨٤هـ.

– ابن اعثم: احمد الكوفي ت ٣١٤هـ.

٥. الفتوح: تح علي شيري، ط١، دار الاضواء، بيروت.ب.ت.

ـ الامين: محسن العاملي ت ١٣٧١ هـ/ ١٩٥١م.

٦. أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الامين، بيروت، ب. ت.

٧. لواعج الأشجان في مقتل الحسين، ب.محق، ب.ط، ب.مط، الناشر: مكتبة بصيرتي، ب.مكا، ب.ت.

ـ البحراني: السيد هاشم ت ١١٠٧هـ.

٨. مدينة المعاجز: تح: عزة الله المولائي، ط١، قم، ١٤١٣هـ.

– البحراني: الشيخ عبدالله ت ١١٣٠هـ.

٩. العوالم (الامام الحسين)، تح: مدرسة الامام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.

. البغدادي: عبد القادر بن عمر ١٠٣٠-١٠٩٣هـ.

١٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، الطبعة الأولى، بولاق، ب. ت.

ـ البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ.

١١. معجم ما استعجم، تح: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

ـ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ.

١٢. أنساب الأشراف، ج٢، تح وتعليق: محمد باقر المحمودي، ط٢، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٩هـ.

ـ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين ت٤٥٨هـ.

١٣. دلائل النبوة، وثق أصوله وخرج حديثه: عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

ـ ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ.

١٤. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتح: محمد عطا، ومصطفى عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

. ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي ت ٨٥٢هـ.

١٥. الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩م.

. ابن ابي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٧٦ـ ٦٥٦ هـ).

١٦. شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.

ـ الحلبي: علي بن برهان الدين الشافعي (٩٧٥ - ١٠٤٤هـ/ ١٥٦٧ـ١٦٣٥م).

١٧. السيرة الحلبية، ب. محق، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٧١م.

ـ ابن خلكان: ابو العباس شمس الدين بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

١٨. وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ب.ط، مطبعة دار الثقافة - بيروت، ب.ت.

الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد البكري (ت القرن السادس الهجري).

١٩. المناقب، قدم له: محمد رضا الخرسان، النجف، ١٣٨٥هـ.

ـ الدمشقي: محمد بن أحمد الباعوني الشافعي ت٨٧١هـ.

٢٠. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٦هـ.

ـ ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان الأموي (٢٠٨ ـ ٢٨١ هـ).

٢١. مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، تح: عبد العزيز الطباطبائي، منشور في مجلة تراثنا، ج١٢، العدد الثالث، السنة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

ـ الدربندي: آغا بن عابد الشيرواني ت ١٢٨٥م.

٢٢. إكسير العبادات في أسرار الشهادات، تح: محمد جمعة بادي وعباس الجمري، ط١، دار ذوي القربى، قم، ١٤٢٠هـ.

- الدولابي: أبو بشر محمد بن احمد بن حماد (٢٢٤- ٣١٠هـ).

٢٣. الذرية الطاهرة، تح: محمد الجلالي، ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٨.

- الدينوري: ابو حنيفة ت ٢٨٢هـ

٢٤. الاخبار الطوال، تح عبد المنعم عامر، ط١، دار

احياء الكتب العربية،١٩٦٠م

. الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م.

٢٥. تاريخ الاسلام: تح عمر عبد السلام، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.

٢٦. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٧. ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية،١٩٦٣م.

ـ الزبيدي: محمد مرتضى ت ١٢٠٥ هـ

٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت.

ـ الزرباطي: حسين الحسيني.

٢٩. الجريدة في أصول أنساب العلويين، ط١، ب.مكا، ب.ت.

ـ ابن زين الدين العاملي: جمال الدين أبي منصور بن الحسن ت١٠١١هـ.

٣٠. منتهى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، قم، ١٣٦٢ش.

ـ السالكي: محمد علي.

٣١. أم البنين، ط١، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٤هـ.

ـ ابن سعد: محمد ت ٢٣٠هـ.

٣٢. الطبقات الكبرى، ب. ط، دار صادر، بيروت، ب. مكا.

ـ السماوي: محمد بن طاهر (١٢٩٢ ـ ١٣٧٠هـ).

٣٣. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، تح: محمد جعفر الطبسي، ط١، مركز الدراسات الإسلامية، ١٤١٩هـ.

-السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ٥٠١ ـ٥٨١هـ.

٣٤. الروض الانف، مط الجمالية، مصر، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤.

ـ ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي: ت٤٥٨هـ.

٣٥. المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ت ٨٤٩ -٩١١هـ

٣٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ب.محق، بغداد، ١٣٧٧م.

- الشامي: جمال الدين يوسف بن حاتم (ق٧هـ).

٣٧. الدر النظيم في مناقب الائمة اللهاميم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم، ١٤٢٠هـ.

ـ ابن شهر أشوب: رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي (٤٨٩-٥٨٨هـ).

٣٨. مناقب آل أبي طالب، النجف، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.

ـ الصالحي: محمد بن يوسف ت٩٤٢هـ.

٣٩. سبل الهدى والرشاد، تح: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

ـ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ.

٤٠. الامالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، ١٤١٧هـ.

٤١. الخصال، تح: علي اكبر الغفاري، ب.ط، ب.مط، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ.

٤٢. من لا يحضره الفقيه، صححه: علي اكبر الغفاري، ط٢، قم، ١٤٠٤هـ.

ـ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤ هـ.

٤٣. الوافي بالوفيات: تح: احمد الارناؤوط ـ تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠.

ـ ابن طاووس: علي بن موسى بن جعفر ت٦٦٤هـ.

٤٤. اللهوف في قتلى الطفوف، ط١، مطبعة مهر، أنوار الهدى، قم، ١٤١٧هـ

ـ الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ.

٤٥. أعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: ط١، ستارة، قم، ١٤١٧هـ.

. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ.

٤٦. تاريخ الأمم والملوك، راجعه وصححه وضبطه: نخبة من العلماء، ط٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٣م.

ـ الطبري: عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم ت بعد ٥٥٣هـ.

٤٧. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تح: جواد القيومي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢هـ.

ـ الطريحي: فخر الدين ت١٠٨٥هـ.

٤٨. مجمع البحرين، ب. محقق، ط٢، طهران، مطبعة طراوت، ١٣٦٢.

ـ الطهراني: آغا بزرك.

٤٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣.

ـ الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م.

٥٠. الامالي، قدم له: السيد محمد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٤.

٦٠. مصباح المتهجد، ب.محق، ط١، مؤسسة فقه الشريعة، بيروت، ١٩٩١م.

ـ العاملي: جعفر مرتضى.

٦١. الصحيح من سيرة النبي الاعظمﷺ، ط٦، المركز الاسلامي للدراسات، بيروت، ٢٠١٠.

ـ عدة محدثين:

٦٢. الأصول الستة عشر، ط٢، دار الشبستري للمطبوعات، قم، ١٤٠٥هـ.

٦٣. ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (٤٩٩ – ٥٧١ ه).

٦٤. تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، ١٩٩٦م.

٦٥. العمري: أبو الحسن نجم الدين علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي (ق ٥هـ).

٦٦. المجدي في أنساب الطالبيين، تح: احمد المهدوي الدامغاني، ط١، مط: سيد الشهداء، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٩هـ.

٦٧. ابن عنبة: السيد جمال الدين احمد بن علي الحسيني ت ٨٢٨هـ.

٦٨. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ط٢، مؤسسة أنصاريان، قم، ٢٠٠٤م.

ـ العواد: انتصار عدنان.

٦٩. السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، دراسة تاريخية، دار البديل، بيروت، ٢٠٠٩م.

٧٠. الفتال النيسابوري: أبو جعفر محمد بن الحسن ت٥٠٨هـ.

٧١. روضة الواعظين، ط٢، مط: أمير، قم، ١٣٧٥هـ.

٧٢. أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م.

٧٣. الاغاني، شرح: عبد علي وسمير جابر، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٦.

٧٤. مقاتل الطالبين، ب. محق، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٦٥.

ـ الفيض الكاشاني: محمد محسن ت١٠٩١هـ.

٧٥. الوافي: تح: ضياء الدين الحسيني، ط١، إصفهان، ١٤٠٦هـ.

. ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ.

٧٦. الشعر والشعراء، ب. محق، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٧٧. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩.

ـ القمي: الشيخ عباس ت١٣٥٩هـ.

٧٨. الكنى والألقاب، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، ب. ت.

ـ ابن قولويه: جعفر بن محمد القمي ت ٣٦٨هـ.

٧٩. كامل الزيارات، تح: جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ.

ـ ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ).

٨٠. البداية والنهاية، ط٢، بيروت، ١٩٧٧.

٨١. السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١.

٨٢. الكلاعي: أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الأندلسي ت ٦٣٤ هـ.

٨٣. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفا، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

ـ الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب ت٣٢٨هـ.

٨٤. الكافي، صححه علي أكبر غفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ب.ت.

- الكوراني: علي العاملي.

٨٥. جواهر التاريخ، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.

٨٦. المتقي الهندي: علاء الدين بن علي (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م).

٨٧. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، ط٢، حيدر آباد الدكن- الهند، ١٩٥٠-١٩٦٧.

ـ المجلسي: محمد باقر ت١١١١هـ.

٨٨. بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.

. محب الدين الطبري: ابو جعفر احمد بن عبد الله ٦١٥ ـ ٦٩٤ هـ.

٨٩. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة: جميل ابراهيم حبيب، بغداد، ١٩٨٤.

ـ المزي: أبو الحجاج يوسف ت ٧٤٢ هـ

٩٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

-المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ت ٤١٣ هـ.

٩١. الاختصاص: تح: علي اكبر الغفاري، قم، ب.ت.

٩٢. الإرشاد، تح: حسين الاعلمي، ط٥، مؤسسة النبراس، النجف، ٢٠٠١م.

٩٣. المزار، تحقيق: محمد باقر الأبطحي، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م.

ـ المقرم: السيد عبد الرزاق الموسوي ت١٣٦١هـ.

٩٤. العباس عليه السلام، تح: محمد الحسون، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الأشرف، ١٤٢٧هـ.

٩٥. العباس عليه السلام، منشورات الشريف الرضي، ط١، مطبعة شرف، ب.ت.

. ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ٦٣٠ـ٧١١ هـ.

٩٦. لسان العرب، الدار المصرية، القاهرة. ب. ت.

. النصرالله: جواد كاظم.

٩٧. الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد، ط١، دار الكفيل، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٧م.

٩٨. الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة البصرة، ط١، دار الفيحاء، البصرة، ٢٠١٣م.

٩٩. دور المرأة البصرية في الحركة الفكرية (معاذة العدوية أنموذجا)، مجلة تراث البصرة، العدد الاول، المجلد الاول، السنة الاولى، ٢٠١٧م. ص١٧٥ ـ ٢٣٠.

١٠٠. فضائل أمير المؤمنين المنسوبة لغيره، (الولادة في الكعبة)، مركز الأبحاث العقائدية، ط١، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.

– أبو نصر البخاري: سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان (كان حياً ٣٤١هـ).

١٠١. سر السلسلة العلوية، تح، محمد صادق آل بحر العلوم، ط١، مط: نهضت منشورات الشريف الرضي، ب.مكا، ب.ت.

ـ النقدي: جعفر.

١٠٢. الأنوار العلوية، ط٢، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٢م.

ـ ابن نما: نجم الدبن جعفر الحلي ت٦٤٥هـ.

١٠٣. مثير الأحزان، ب. محق، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠م.

ـ النوري: الميرزا حسين الطبرسي ت١٣٢٠هـ.

١٠٤. خاتمة مستدرك الوسائل، تح: مؤسسة أل البيت لتحقيق التراث، قم، ١٤١٥هـ

ـ ابن هشام: ابو محمد عبد الملك الحميري المعافري ت٢١٨ هـ.

١٠٥. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار الفكر، ب. ت.

ـ ياقوت الحموي: أبو عبد الله البغدادي ت٦٢٦هـ.

١٠٦. معجم الأدباء، ب.محق، ط٣، دار الفكر، ١٩٨٠م.

١٠٧. معجم البلدان، ب. محق، ب. ط. بيروت، ١٩٥٥ ـ١٩٥٧.

مواقع النت

arabic.al-shia.org: